

المُفِيدُ

شرح دروس التوحيد

للحبيب العلامة

محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

رحمه الله تعالى

بقلم

عبدالله بن سالم بن سعيد باخرجه

غفر الله له ولوالديه

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الإله المعبود، وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد سيّد أهل الشهور،
وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى اليوم الموعود.
أما بعد: فهذا كتيب مفيد للمبتدئين في بعض معاني ومساائل دروس التوحيد
للحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ نفعا الله به ويعلموه، وعلوم سائر
الصالحين، نسأل الله الكريم أن ينفع به القريب والبعيد، وأن يجعله خالصاً لوجهه
الكريم المجيد.

أمين اللهم آمين

عنوان الكتاب: المفيد شرح دروس التوحيد.

المحقق: عبد الله بن سالم بن سعيد باخريصه

المؤلف: الحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ.

قياس القطع: ١٤.٨ × ٢١.

عدد الصفحات: ١١٠

رقم الإيداع

()

الجمهورية اليمنية - صنعاء

التنفيذ والتنسيق والطباعة:

قسم الطباعة

بمكتبة تريم الحديثة

تريم - حضرموت - عيديد

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

الكتب والدراسات التي
تصدرها المكتبة
لا تعني بالضرورة تبني
الأفكار الواردة فيها؛
وهي تعبر عن آراء
واجتهادات أصحابها

هاتف: ٩٦٧ ٤١٧١٣٠ + E.M: tmbs٤١٧١٣٠@hotmail.com

فاكس: ٩٦٧ ٤١٧١٣٠ + E.M: tmbs٤١٧١٣٠@yahoo.com

جوال: ٩٦٧ ٧٧٧٤١٨١٣٠ + مكتبة تريم الحديثة (مجموعة) Facebook:

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ وَلَمْ

تعريف مختصر بمؤلف كتاب دروس التوحيد

هو الإمام العارف بالله الصادق والصابر: محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله ابن أبي بكر بن عيديروس بن عمر بن عيديروس بن أبي بكر بن عيديروس ابن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم .. والذي ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد ﷺ.

ولد بقرية مشطة من ضواحي مدينة تريم بحضر موت اليمن سنة ١٣٣٢ هـ، وتربى تحت رعاية أبيه الكريم الورع، فنشأ عالماً ورعاً محباً للعلم ونشره، مهتماً بالدعوة إلى الله تعالى، ولم يزل على حميد الشائل صادعاً بالحق، حتى أختطفته فرقة الإلحاد من الشيوعين باليمن سنة ١٣٩٢ هـ. أعلى الله درجاته، وجمعنا به في أعلى فراديس جناته، ونفعنا بعلومه وبركاته. آمين يا رب العالمين.

قوله: «(بسم الله الرحمن الرحيم...)»: ابتداء المؤلف كتابه بالبسملة إقتداءً بالكتاب العزيز وعملاً بخبر: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ»^(١)، والمعنى أنه ناقص وقليل البركة، وإن تم حساً لا يتم معنى.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) برقم (١٢١٠)، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «(كل كلام، أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبت، أو قال: أقطع)» أخرجه أحمد في مسنده برقم (٨٧١٢)، والدار فطنى برقم (٨٨٤).

وللبسملة فوائد عظيمة منها: ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «(من أراد أن ينجي الله من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد)»^(١) اهـ.

وقد ذكر الشرجي في فوائده: أن عيسى عليه السلام مر بقبر يعذب صاحبه، ثم عاد إليه فرأى أنواع الكرامات عنده، فسأل الله عنه فأعلمه بأنه، أخذ أولاً بذنبه وترك زوجته حاملاً فوضعت ولداً، فلما بلغ سبع سنين أدخلوه المكتب، فلما علمه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم، رفع عنه العذاب، فقال الله تعالى: كيف أعذبه في بطن الأرض وولده على ظهرها يذكر اسمي. اهـ^(٢)

ويدأ المؤلف بسورة الإخلاص؛ لأنها تسمى بسورة التوحيد، وهذا من براعة الاستهلال^(٣). وتسمى أيضاً سورة الإخلاص؛ لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفات الله تعالى السلبية التي هي صفات الجلال، وتسمى أيضاً سورة المعرفة؛ لأن معرفة الله تعالى لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة^(٤).

(١) عن وكيع عن الأعمش عن أبي وائل. انظر تفسير القرطبي في تفسير البسملة (١/ ٩٢).

(٢) من كتاب شرح راتب الإمام الحداد ص ٢٢٦.

(٣) براعة الاستهلال: هي أن يأتي المصنف في مبدأ كلامه بإشارة لطيفة إلى المقصود. انظر حسن الصياغة ص ١٦٢.

(٤) انظر تفسير الرازي (٣٢/ ٣٥٧).

وقد جاءت هذه السورة العظيمة رداً على مشركي العرب القائلين: الملائكة بنات الله، واليهود القائلين: عزيز ابن الله، والنصارى القائلين: المسيح ابن الله^(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وسبب نزول هذه السورة: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ وفيهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، إلى آخرها^(٢).

ومن فضائل هذه السورة: أنها تعدل ثلث القرآن الكريم؛ لأن القرآن قصص وأحكام وصفات لله تعالى، وهي متمحضة للصفات فهي ثلثه.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^(٣).

وجاء في الحديث: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ نَفَتِ الْفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْجِيرَانِ»^(٤). وفي هذه السورة اسم الله الأعظم، الذي هو (الله) وبه قال الجمهور: «إنه اسم الله الأعظم». وقال بعض العلماء: «ولكن بشرط أن تقول الله وليس في قلبك سواه»^(٥).

(١) انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٤/ ٤٩٩).

(٢) من كتاب لباب النقول في أسباب النزول.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠١٣).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢٤١٩).

(٥) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ٥٧).

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، قال: فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»: الحمد لغة: الثناء باللسان على الجميل الاختياري، وعرفاً: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره، وهذا هو الشكر لغة. أما الشكر عرفاً: فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خُلِقَ لأجله^(٢).

قوله: «رَبِّ الْعَالَمِينَ»: الربُّ معناه المالك وَالسَّيِّدُ وَالْمُدَبِّرُ وَالْمُرَبِّي، وله معانٍ أخرى. والعالمين: اسم جمع لعالم؛ لأن العالم عام والعالمون خاص بمن يعقل^(٣). فالعالمون: خاص بالعقلاء وهم الإنس والجن والملائكة. قال النووي: والمختار عند الجماهير: أن العالم اسم للمخلوقات كلها والله أعلم^(٤).

قوله: «وَصَلَّى اللَّهُ»: الصلاة لغة الدعاء.. ثم إن كانت من الله تعالى فرحة كما جاء في حديث البخاري^(٥) قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» أي ارحمهم، وإن كانت من الملائكة فاستغفار كما جاء في حديث البخاري برقم (٤٤٥):

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٤٩٣)، والترمذي برقم (٣٤٧٥).

(٢) من كتاب نيل الرجاء شرح سفينة النجاء ص ٦.

(٣) انظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١ / ٣٣٤)، دليل الفالحين (٦ / ٣٩٥).

(٤) انظر شرح النووي على مسلم (١ / ٤٣).

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٤٩٧)، ومسلم برقم (١٠٧٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةٍ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» أي تستغفر له وتطلب له الرحمة من الله تعالى. وإن كانت من الآدميين فتضرع ودعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي ادع لهم بالمغفرة.

وأما صلاة الله تعالى على نبيه ﷺ فهي الرحمة المقرونة بالتعظيم^(١).

فائدة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، حيث أمرنا بالصلاة عليه، فَلِمَ نقول: اللهم صل على محمد، ولا نقول: أصلي على محمد، كما يفهم من الأمر؟ قال العلماء: إنه لما لم يبلغ قدر الواجب من الصلاة عليه، إذ نحن عاجزون عن توفيقه حقه، وقاصرون عن معرفة الشئ اللائق به، أوكلنا الأمر إلى الله تعالى، وأحلناه عليه بقولنا: اللهم صل على محمد؛ لأنه سبحانه أعلم بما يليق بالرسول ﷺ^(٢).

وتسن الصلاة على النبي ﷺ في مواضع متعددة منها: عقب الأذان، وأول الدعاء وآخره، وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الاجتماع والافتراق، وفي افتتاح الوعظ والتذكير، وعند قراءة الحديث، وعند نسيان الشيء، وختم القرآن، ويوم الجمعة وليلتها، وعند طنين الأذن، وعند الهم والكرب، وعند كتابة اسمه الشريف^(٣).

(١) انظر تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٢٧).

(٢) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ٧٣).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٩)، عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ٧٥).

وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.....

قوله: «وَسَلَّمَ»: السلام لغة: الأمان، وشرعاً: الأمان من جميع الآفات.
قوله: «عَلَى سَيِّدِنَا»: السيد هو من ساد في قومه، أو من كثر سواده أي جيشه، أو من تفرع إليه الناس عند الشدائد، أو الحليم الذي لا يستغزفه الغضب. وقد اجتمعت هذه الصفات في نبينا محمد ﷺ^(١).

قوله: «مُحَمَّدٍ»: هو أشهر أسمائه ﷺ وأشرفها، لذلك أختص بأمور منها: أنه يتعين الإتيان به في التشهد، ويكره حمله في الخلاء، ويجب تحويله من اليد عند الاستنجاء^(٢). والمسمى له ﷺ بهذا الاسم جده على الصحيح، وقيل: أمه، والمسمى له في الحقيقة هو الله تعالى^(٣)؛ لأنه سبحانه أظهر اسمه قبل ولادته في الكتب المنزلة، فهو بتوقيف شرعي، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قوله: «وَأَلِهِ»: آل النبي ﷺ: هم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب، ابني عبد مناف، قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه^(٤).

قوله: «وَصَحْبِهِ»: الصحابة جمع صحابي: وهو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام^(٥).

(١) انظر نيل الرجاء شرح سفينة النجاة ص ٨.

(٢) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ١٠٩).

(٣) انظر السيرة الحلبية (١/ ١١٥)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٧.

(٤) انظر نيل الرجاء شرح سفينة النجاة ص ٩. وخرج بقوله بني هاشم والمطلب: بنو عبد شمس ونوئل، فليسوا من آل وإن كانوا من أولاد عبد مناف، وذلك لأنهم كانوا يؤذونه ﷺ. انظر إغاثة الطالبين (١/ ٢٠).

(٥) انظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ١٤٠.

وَبَعْدُ: فَهَذِهِ دُرُوسٌ مُحْتَصَرَةٌ فِي (عِلْمِ التَّوْحِيدِ) لِتِلَامِذَةِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالسَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْمَدَارِسِ الْإِيتِدَائِيَّةِ، طَبَقًا لِلْمَنْهَجِ الْمُقَرَّرِ. وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَنْفَعَهَا وَيَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ.

عِلْمُ التَّوْحِيدِ: هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِثْبَاتُ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ.

قوله: ((وَالتَّابِعِينَ)): جمع تابعي: وهو من لقي الصحابي، مؤمناً بالنبي ﷺ ومات على الإسلام^(١). وأفضيهم أويس بن عامر القرني لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يَقَالَ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))^(٢) وسيدتا التابعيات: حفصة بنت سيرين، وعمره بنت عبد الرحمن^(٣).

قوله: ((وَبَعْدُ)): بالبناء على الضم: هي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر^(٤). وأصلها الثاني (أما بعد) بدليل لزوم الفاء في خبرها غالباً.

وهذا الأصل هو السنة، فقد كان ﷺ يأتي بها في خطبه ورسالاته. والأصل الأصيل: (مهما يكن من شيء بعد)^(٥).

قوله: ((عِلْمُ التَّوْحِيدِ... الخ)): بدأ المصنف الكلام على علم التوحيد وتعريفه، ونذكر أولاً مبادئ هذا العلم.

(١) انظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (١ / ١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٢).

(٣) انظر التقريب والتيسير للنووي (١ / ٩٥).

(٤) انظر المنهج القويم شرح المقدمة الحضرمية (١ / ١٠).

(٥) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠.

مبادئ علم التوحيد^(١):

إِنَّ مَبَادِيَّ كُلِّ فَنٍّ عَشْرَةٌ الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ
وَفَضْلُهُ وَنَسَبُهُ وَالْوَاضِعُ وَالِاسْمُ الْاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعِ
مَسَائِلُ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَازَ الشَّرْفَا

حد علم التوحيد ثعة: هو العلم بأن الشيء واحد، وشرعاً: هو علم يعرف به إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية.

موضوعه: ذات الله تعالى من حيث ما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه، وذات الرسل عليهم الصلاة والسلام، والسمعيات من حيث اعتقادها.

ثمرته: معرفة الله تعالى بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية.

فضله: أنه أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذاته تعالى، وذوات رسله فهو أصل لما سواه.

نسبته: أنه أصل العلوم الدينية وما سواه فرع.

واضعه: أبو الحسن الأشعري ومن تبعه، وأبو منصور الماتريدي ومن تبعه، بمعنى أنهم دونوا كتبه وردّوا الشبه التي أوردتها المعتزلة ونحوها، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم إلى يوم القيامة.

اسمه: علم التوحيد؛ لأن مبحث الوجدانية أشهر مباحثه، ويسمى علم الكلام، وعلم العقيدة الإسلامية.

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١١.

أقسام الحكم العقلي

الحكم العقلي ثلاثة^(١) أقسام: وهي الواجب والمستحيل والجائز.

اليقينية: اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع^(٢)، خرج به الظن: وهو الاحتمال الراجع، والشك وهو الاحتمال المساوي، والوهم وهو الاحتمال المرجوح، فلا يكفي واحد منها في العقائد بالإجماع.

فلا بد أن يكون الاعتقاد جازماً مطابقاً للواقع، فلو كان جازماً غير مطابق له فهو اعتقاد فاسد كاعتقاد قديم العالم، أو تعدد الإله، وصاحب هذا الاعتقاد يجمع على كفره. قوله «الحكم العقلي... الخ»: الحكم في الاصطلاح: هو إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه^(٣). فالإثبات نحو قولك: زيد قائم، والقدرة واجبة لله تعالى. والنفي نحو قولك: زيد ليس بقائم، وشريك الله تعالى ليس بموجود.

والأحكام المطلقة ثلاثة^(٤): عقلي وشرعي وعادي:

(١) الحكم العقلي: هو إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، بطريق العقل من غير توقفٍ على وضع أو تكرار. مثل: الكل أكبر من الجزء إثباتاً، والجزء ليس أكبر من الكل نفيًا.

استمداده: من الأدلة العقلية والنقلية.

حكم الشارع فيه: الوجوب العيني على كل مكلف من ذكر وأنثى.

مسائله: قضاياها الباحثة عن الواجبات والجائزات والمستحيلات.

توضيح تعريف علم التوحيد:

العلم: هو الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل^(١).

العقائد: جمع عقيدة: والعقيدة لغة: مأخوذة من عقد الشيء أي ربطه، وشرعاً:

الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده^(٢).

الدينية: أي المنسوبة إلى دين سيدنا محمد ﷺ مثل: العالم حادث، وخالقه هو الله تعالى، والله أحد. بالأدلة: جمع دليل وهو المرشد إلى المطلوب^(٣). خرج به علم المقلد: وهو اتباع قول الغير من غير استناد إلى دليل. ويسمى صاحبه مقلد، واختلف العلماء في إيمانه، والمعتمد: أنه إن كانت له قدرة على النظر^(٤) الموصل إلى المعرفة، كان مؤمناً عاصياً، وإلا فغير عاصٍ.

(١) انظر المذهب في علم أصول الفقه المقارن (١/ ١٨)، التعريفات للجرجاني (١/ ١٥٥).

(٢) انظر المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤).

(٣) والدليل قسآن: عقلي وهو: قول مؤلف من مقدمتين، تستلزم قولاً آخر. ونقلي وهو: ما يكون من كتاب وسنة.

(٤) تنبيه: النظر الذي يخرج به المكلف عن التقليد إلى المعرفة هو: النظر على طريق العامة وهو النظر الإجمالي، كما أجاب به الأعرابي الذي سأله الأصمعي بقوله: بم عرف ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبرج وأرض ذات فجاج وبحور ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير. ولا يشترط النظر على طريق المتكلمين وهو النظر التفصيلي بتحرير الأدلة وترتيبها ودفع شبه الواردة عليها. اه طالع البشري

(١) وجه الانحصار في الثلاثة: أن كل ما يحكم به العقل إما يقبل الثبوت دون الانتفاء وهو الوجوب، وإما

يقبل الانتفاء دون الثبوت وهو المستحيل، وإما يقبلها وهو الجائز.. انظر كتاب طالع البشري ص ٥.

(٢) انظر المجموع شرح المذهب (١٧/ ٢٤٨)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (١/ ٤١).

(٣) انظر مذكرة في أصول الفقه (١/ ١٠)، تهذيب السنوسية ص ١٩.

(٤) انظر عون المريد شرح جوهره التوحيد (١/ ١٦٥)، تهذيب السنوسية (ص ٢٠). وعرفه بعضهم

بقوله: هو ما يعرف فيه العقل النسبة إيجاباً أو سلباً.. انظر مذكرة في أصول الفقه (١/ ١٠).

(٢) الحكم الشرعي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بوضع واضح. أي أن الإثبات والنفي حكم بهما بواسطة وضع الشرع لهما، مثل: الصلوات الخمس واجبة، وصوم عاشوراء ليس بواجب.

(٣) الحكم العادي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار والتجربة^(١) مثل: النار محرقة، وأكل هذا الطعام لا يسخن البدن.

فائدة: الفرق بين الحكم العقلي والعادي^(٢):

الحكم العقلي: هو الربط بين أمرين لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر أو تخلفه عنه، فلا يكون جرم دون حيز، فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر، ويستحيل وجود أحدهما دون الآخر عقلاً. أما الحكم العادي: فهو الربط بين أمرين يمكن تخلف أحدهما عن الآخر، فيمكن وجود الشيع دون أكل، أو النار دون إحراق، أو الشفاء دون دواء، كحال المصطفى ﷺ في صيام الوصال، ونار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وحالات البرء دون دواء .. اهـ

(١) مع اعتقاد عدم تأثير أحدهما في الآخر البتة، فالحكم بأن النار محرقة حكم عادي معناه: إن الإحراق يقترن بمس النار في كثير من الأجسام، لمشاهدة تكرار ذلك على الحس، وليس معناه: أن النار هي التي أترت في الإحراق، إذ هذا المعنى لا دلالة للعادة عليه أصلاً، فإن غاية ما دلت عليه العادة الاقتران فقط بين أمرين. اهـ انظر عون المريد شرح جوهرية التوحيد (١/ ١٦٠-١٦١).

(٢) انظر عون المريد شرح جوهرية التوحيد (١/ ١٦٧).

مَحَقَّي الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحِيلِ وَالْجَائِزِ

الوَاجِبُ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ عَدَمُهُ، وَالْمُسْتَحِيلُ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ، وَالْجَائِزُ: هُوَ الَّذِي يَتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ. وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ

قوله: «الوَاجِبُ... الخ»: لا يتصور: أي لا يمكن للعقل إذا فُكِّرَ تفكيراً سليماً أن يحكم بغير ذلك. مثاله: وجود البارئ جل جلاله، وكون اليوم يتكون من ليل ونهار، وكاحتياج الجسم إلى محل يحل فيه وملازمته لحركة أو سكون، ولكل موجود موجود. قوله: «وَالْمُسْتَحِيلُ... الخ»: مثاله: عدم وجود خالق العالم سبحانه، وكخلو الجسم عن محل يقوم به، أو عن حركة أو سكون.

قوله: «وَالْجَائِزُ... الخ»: مثاله: وجود جبل من حجر أو من ذهب، والثواب للعاصي والعقاب للمطيع^(١).

قوله: «وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ... الخ»: التكليف: هو إلزام ما فيه كلفة.

وشروطه أربعة: البلوغ والعقل وبلوغ الدعوة وسلامة الحواس، وهذا في الإنس. أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة فلا يتوقف تكليفهم على البلوغ^(٢).

(١) لكن تعذيب الله للمطيع وأثابته للعاصي الكافر وإن جاز عقلاً فيها مستحيلان شرعاً، وأما العاصي بغير الكفر، فلأثابته جائزة شرعاً كما هي جائزة عقلاً. بتصرف من كتاب طالع البشرى ص ٦.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد (ص ٢٩)، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج (١/ ٤٤٥).

أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَقَّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِمْ، وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَفِي حَقِّهِمْ.

قوله: «أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى... الخ»: المراد بمعرفة الله تعالى^(١): أن يعتقد المكلف اعتقاداً جازماً بما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى من الصفات؛ لأن الله تعالى لا يُعْرَفُ إلا بصفاته، وأما ذاته فلا يعرف حقيقتها إلا هو سبحانه وتعالى. والله دُرُّ الصديق أبي بكر رضي الله عنه حين قال:

لَا يَعْرِفُ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ فَاتَّبِعُوا وَالَّذِينَ دِينَانِ إِيْمَانٌ وَإِشْرَاكٌ
وَلِلْعُقُولِ حُدُودٌ لَا تَجَاوِزُهَا وَالْعَبْجُزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِذْرَاكُ^(٢)

وأما في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيجب على المكلف أن يعرف الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حقهم، وسيأتي توضيحها إن شاء الله تعالى.

• مسائل مفيدة:

[١] حكم من مات قبل البلوغ: قال العلماء: كل من مات قبل البلوغ من أولاد الكفار الأصليين والمرتدين في الجنة على الأصح^(٣). قال الإمام النووي: «أجمع مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَكْلُفًا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ»^(٤).

- (١) قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة في كلمتين: الأولى: اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام، فالله بخلافه. والثانية: اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشابهة للذوات، ولا معطلة عن الصفات. اهـ انظر (هداية المريد شرح جوهرية التوحيد) ص ١٤.
- (٢) انظر إحياء علوم الدين (٤ / ٣٠٥).
- (٣) انظر تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٩ / ٩٩).
- (٤) انظر شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٠٧).

وقال النووي أيضاً: «والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أن أطفال المشركين من أهل الجنة» اهـ^(١).

[٢] حكم من بلغ عاقلاً ثم جُنَّ: المجنون ليس مكلفاً إن بلغ مجنوناً واستمر على ذلك حتى مات، بخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثم جن وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناجٍ^(٢).

[٣] حكم أهل الفترة: المراد بأهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل، الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام، ولا لحقوا النبي محمد ﷺ^(٣).

فالتحقيق كما نقله العلامة الملوي عن الأبي في شرح مسلم خلافاً للنووي: «أنه لا بد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليه، فالمذهب الحق أن أهل الفترة وهم من كانوا بين أزمنة الرسل أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم ناجون، وإن بدّلوا وغيّروا، أو عبدوا الأصنام في زمن الفترة»^(٤) اهـ. واستدل العلماء لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال السيوطي: «لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة، علمنا أنهم - أي أهل الفترة - غير معذبين»^(٥)، وقال ابن القيم رحمه الله: أنهم يمتحنون في عرصة القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة =

(١) انظر شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٠٨).

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٢٩.

(٣) انظر الحاوي للفتاوي (٢ / ٢٥٣).

(٤) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٢٩.

(٥) انظر الحاوي للفتاوي (٢ / ٢٥٣).

الإلهيات

الوَاجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إِجْمَالًا

فَالوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِجْمَالًا (اتَّصَافُهُ بِكُلِّ كَمَالٍ)، فَإِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،
بِيَدِهِ مَلَكُوتٌ^(١) كُلُّ شَيْءٍ، قَدِيمٌ فَلَا ابْتِدَاءَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، بَاقٍ فَلَا انْتِهَاءَ لِآخِرِيَّتِهِ.
الوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى تَفْصِيلًا
وَالوَاجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى تَفْصِيلًا عِشْرُونَ صِفَةً.....

قوله: «الوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى... الخ»: أي أنه يجب على المكلف أن يعرف أن الله تعالى صفات كمال غير متناهية، فلا حصر لصفاته تعالى، فهو الخالق لهذه المخلوقات، وبيده خزائن كل شيء، قال تعالى: ﴿تَسْبِخُنَ الَّذِي يَبْدُوهُ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَبْدُوهُ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وقال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَبْدُوهُ أَلَمُكَ﴾ [الملك: ١].

قوله «قَدِيمٌ فَلَا ابْتِدَاءَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، بَاقٍ فَلَا انْتِهَاءَ لِآخِرِيَّتِهِ»: سيأتي توضيحها في الصفات.

قوله: «وَالوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى تَفْصِيلًا عِشْرُونَ صِفَةً»: شرع المصنف في بيان ما يجب في حق الله تعالى وهو القسم الأول مما يجب على المكلف معرفته. والعشرون الصفة هي التي قام الدليل العقلي والنقلي عليها، والتي كلّفنا بمعرفتها، مع اعتقاد أن الله تعالى صفات كمال لا تنهاى. وسيأتي الكلام على كل صفة مع دليلها النقلي.

(١) والملكوت في كلام العرب لفظ مبالغة في الملك كالجبروت، والرحوت كأنه قال: فسبحان الذي بيده مالكية الأشياء الكلية. انظر فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٤١).

= ومن عصاه أدخله النار. وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار^(١).

• تنبيه:

إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه ﷺ ناجيان لكونهما من أهل الفترة بل جميع آبائه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم، لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية، بأدلة نقلية كقوله تعالى: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وقوله ﷺ: «لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سَفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلْنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، مُصَفًّى مَهْذَبًا لَا تَشْغَبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»^(٢) وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر^(٣). وقد ذهب العلماء إلى أنه لم يبعث نبي قط أشرك بالله طرفة عين، ونص عليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن حقيقة الكفر، وعن حكمه بتبعية آبائهم، وعلى هذا فلا بد من أن يكون تولد الأنبياء بين أبوين مسلمين، أو يكون موتها قبل تولدهم اهـ^(٤) راجع رسالة السيوطي في ذلك.



(١) انظر طريق المهجرتين وباب السعادت (١ / ٣٩٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس، والحديث مذكور في تفسير السيوطي الدر المشور في التفسير بالمأثور (٤ / ٣٢٨).

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٩.

(٤) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١ / ١٥٢ - ١٥٣).

وَهِيَ: الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ وَالْبَقَاءُ وَمُخَالَفَتُهُ لِلْحَوَادِثِ وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ وَالْوَحْدَانِيَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ، وَكَوْنُهُ قَادِرًا، وَكَوْنُهُ مُرِيدًا، وَكَوْنُهُ عَالِمًا، وَكَوْنُهُ حَيًّا، وَكَوْنُهُ سَمِيعًا، وَكَوْنُهُ بَصِيرًا، وَكَوْنُهُ مُتَكَلِّمًا.

الْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إجمالاً

وَالْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إجمالاً (كُلُّ نَقْصٍ): وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ تَدُلُّ عَلَى النِّقْصِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ فَهِيَ مُنْفِيَةٌ عَنْهُ وَمُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ كَالْعَدَمِ وَالْعَجْزِ وَالسَّجْهْلِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى تفصيلاً

وَالْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى تَفْصِيلاً عَشْرُونَ صِفَةً وَهِيَ: الْعَدَمُ وَالْحُدُوثُ وَالْفَنَاءُ وَمُثَانَّتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ وَاحْتِيَاجُهُ تَعَالَى إِلَى غَيْرِهِ وَالتَّعَدُّدُ وَالْعَجْزُ وَالْكَرَاهَةُ وَالْجَهْلُ وَالْمَوْتُ وَالصَّمَمُ وَالْعَمَى وَالْبُكْمُ، وَكَوْنُهُ تَعَالَى عَاجِزًا، وَكَارِهًا

قوله: «وَالْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إجمالاً كُلُّ نَقْصٍ»: كما إنَّ كما لاته تعالى لا تنتهي، فكذا أضدادها لا تنهاى، فالله سبحانه وتعالى منزّه عن كل نقص، وعن كل صفة لا تليق بجلاله وقُدس كماله، كالعدم والعجز والجهل وغيرها.

قوله: «وَالْمُسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى تَفْصِيلاً عَشْرُونَ صِفَةً... الخ»: لما فرغ المصنف من بيان ما يجب في حق الله تعالى، شرع في بيان ما يستحيل عليه وهو القسم الثاني مما يجب على المكلف معرفته. والعشرون الصفة هي التي قام الدليل العقلي والنقلي على نفيها عنه تعالى، والتي كلّفنا بمعرفتها.

وَجَاهِلًا وَمَيِّئًا وَأَصَمًّا وَأَعْمَى وَأَبْكَمًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الْجَائِزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

وَالْجَائِزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ: (فَعْلُ كُلِّ مُمَكِّنٍ أَوْ تَرْكُهُ)، فَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فَعْلُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ وَتَرْكُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا.

مَعْنَى الْوُجُودِ وَدَلِيلُهُ

مَعْنَى الْوُجُودِ: أَنَّ ذَاتَ اللَّهِ تَعَالَى مَوْجُودَةٌ لَا مَعْدُومَةٌ، وَالْمَرَادُ الْوُجُودُ الدَّائِي الْوَاجِبُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ لَا أَرْلاً وَلَا أَبَدًا، بِخِلَافِ وُجُودِنَا فَإِنَّهُ

قوله: «وَالْجَائِزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى... الخ»: لما فرغ المصنف من بيان ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل، شرع في بيان ما يجوز في حقه تعالى وهو القسم الثالث مما يجب على المكلف معرفته. والممكن عند علماء هذا الفن^(١): كل ما حكم العقل باستواء وجوده وعدمه. ويسمى جائزاً. ومعنى فعل الممكن: إيجاد الله له، ومعنى تركه: إبقاؤه في العدم.

• **تنبيه:** قد يصير الممكن عقلاً واجباً شرعاً، بإخبار الشرع بوقوعه مثل: دخول الطائع الجنة، وقد يصير الممكن عقلاً مستحيلاً شرعاً، بإخبار الشرع بعدم وقوعه مثل: دخول الكافر الجنة^(٢).

قوله «مَعْنَى الْوُجُودِ... الخ»: بدأ المصنف بالكلام على صفات الله الواجبة

(١) انظر كتاب طالع البشرى ص ٢٢: فائدة: الممكن أعم من الحادث، لأن الممكن يطلق على الممكن المعدوم والممكن الموجود بعد العدم، بخلاف الحادث فإنه لا يطلق إلا على الممكن الموجود بعد العدم. اهـ بتصرف.

(٢) انظر كتاب طالع البشرى ص ٢٢.

يَفْعَلُهُ تَعَالَى، وَيَقْبَلُ الْعَدَمَ. وَضِدُّ الوجودِ الْعَدَمُ، فَالْعَدَمُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ
اللهِ تَعَالَى.

تعريفاً^(١) ودليلاً. معنى الوجود: هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى.

والصفة: هي معنى قائم بالذات^(٢). ومعنى قيام الصفة بالذات: هو اتصاف
الذات بهذه الصفة. ويكفي المكلف أن يعرف أن ذات الله تعالى موجودة، ولا يجب
عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته^(٣).

والمراد بالوجود الذاتي: هو الذي ليس بتأثير مؤثر وفعل فاعل، ولا يقبل العدم
في الأزل، ولا يقبله في الأبد^(٤). بخلاف وجود الحوادث فهو غير ذاتي بل طارئ
عليها، فهو بفعله تعالى ويقبل العدم في الأزل والأبد.

قوله (وَضِدُّ الوجودِ.. الخ): المراد بالضد هنا بالمعنى اللغوي وهو مطلق المنافاة

• **فائدة^(٥): النقيضان** هما الشيطان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان.
كالوجود والعدم، والحياة والموت، والقدم والحدوث، وغير ذلك.

والضدان: الشيطان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان، كالسواد والبياض.

(١) اعلم أن التعاريف المثبتة لجميع هذه الصفات مجرد رسوم، وليست حدوداً؛ لأنها لم تعلم لنا بالكنه
والحقيقة. اهـ حاشية الباجوري (تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام ص ٢٦).

(٢) بتصرف من كتاب شرح الصاوي على جوهره التوحيد ص ١٤٦.

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ٥٤.

(٤) والأزل هو: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي. والأبد هو: استمرار
الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل. اهـ من كتاب طالع البشرى ص ٨.

(٥) انظر كتاب دروس التوحيد للسيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ
مَعَكُمُ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَشْعُوثُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادَهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَتَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]

قوله: «وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ... الخ»:

[١] قوله تعالى: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجوده شك، فإن الفطرة شاهدة
بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطرة السليمة،
وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا شك في ذلك^(١).

[٢] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمُ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ المعنى: معكم بقدرته، وسلطانه، وعلمه،
وهذا تمثيل للإحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الأرض من برّ وبحر^(٢).

[٣] وقوله تعالى: ﴿مَا يَشْعُوثُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ﴾ الآية معناها: ما يوجد
من تناجي ثلاثة، أو من ذوي نجوى، إلا هو معهم يعلم ما يتناجون به لا
يخفى عليه منه شيء^(٣). [فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٢٣)].

[٤] عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتَهُ»^(٤).

تنبيه^(٥): شاع على ألسنة العوام: «الله موجود في كل الوجود»: وهو كلام
صحيح في نفسه؛ =

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٩).

(٣) وتخصيص العدد بثلاثة وخمسة بالذكر؛ لأن أغلب عادات المتناجين أن يكونوا ثلاثة، أو خمسة؛ أو كانت
الواقعة التي هي سبب النزول في متناجين كانوا ثلاثة في موضع، وخمسة في موضع. فتح القدير للشوكاني.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد.

(٥) انظر شرح الصاوي لجوهره التوحيد ص ١٤٦.

مَعْنَى الْقَدَمِ وَدَلِيلُهُ

مَعْنَى الْقَدَمِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، لَا ابْتِدَاءَ لِأَوَّلِيَّتِهِ وَلَا انْتِهَاءَ لِوُجُودِهِ، بِخِلَافِ قَدَمِنَا. وَضِدُّ الْقَدَمِ الْحُدُوثُ، فَالْحُدُوثُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] ^(١)

= لأن مفاده وحدة الوجود ^(٢)، لكنه غير لائق منهم، لإيهام الحلول، وتأويله أن تقول: معناه أنه مع كل موجود، أي: لا يغيب عن موجود أصلاً، ومعنيته معه معناها تصرفه فيه وتديره له، معية معنوية لا يعلمها إلا هو، كما أن ذاته لا يعلمها إلا هو.

قوله: «(مَعْنَى الْقَدَمِ... الخ)»: المراد بالقدم في حقه تعالى القدم الذاتي: وهو عدم افتتاح الوجود، أو عدم الأولوية للوجود ^(٣). فمعنى الله قديم: لا ابتداء لأوليته، أي ليس لوجوده ابتداء. وقديم وأزلي مترافان في المعنى. وخرج بالقدم الذاتي القدم الزماني والقدم الإضافي، فالمراد بالقدم الزماني: طول المدة، وَضَبَطَ بسنة، حتى إذا قال السيد: كل من كان من عبيدي قديماً فهو حر، عتق من له عنده سنة.

وأما القدم الإضافي: فهو كقدم الأب بالنسبة للابن. وهذان مستحيلان في حقه تعالى. قوله «(وَالدَّلِيلُ... الخ)»: قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣]. وقد ورد لفظ (القديم) في بعض الأخبار مثل قوله ﷺ: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم

(١) وفي هذه الآية علاج للشك: فقد أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به، فقال لي: أثني من شك؟ وضحك؟

قال: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله تعالى ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] الآية وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

(٢) وحدة الوجود هي: أن لا تشهد لغيره تعالى وجوداً. تحفة المريد ص ٥٣ وقد حقق مسألة وحدة الوجود السيد عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف ص ٥٥٢ - ٥٥٧ فراجع.

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٥٤.

مَعْنَى الْبَقَاءِ وَدَلِيلُهُ

مَعْنَى الْبَقَاءِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَمِرُّ الْبَقَاءِ وَالِدَّوامِ فَلَا انْتِهَاءَ لِآخِرِيَّتِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْأَوَّلُ بِلاِ بَدَايَةٍ وَالْآخِرُ بِلاِ نِهَايَةٍ. وَضِدُّ الْبَقَاءِ الْفَنَاءُ، فَالْفَنَاءُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ^(١) وَبَيَّنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

من الشيطان الرجيم» ^(٢). فوصف السلطان بأنه قديم، فيجوز نسبته إليه تعالى.

قوله: «(مَعْنَى الْبَقَاءِ... الخ)»: هو عدم الآخرة للوجود ^(٣)، أو لا انتهاء لآخريته. فمعنى الله باقٍ: لا آخر لوجوده، أي ليس لوجوده انقضاء وانتهاء، فالله سبحانه وتعالى الأول قبل كل شيء بلا بداية، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية ^(٤).

قوله: «(وَالدَّلِيلُ... الخ)»: [١] قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الخ: والمعنى: يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً ^(٥). ﴿وَبَيَّنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٥٥.

(٣) من كتاب طالع البشري ص ٨: ((ومن المسلمات العقلية: أن ما كان لا أول له، فهو لا نهاية له. لأن الأولية والنهائية نقض، وكل منهما لا يرد على من ثبت أنه واجب الوجود بالذات)). اهـ بحوث في

علم الكلام ص ٥٧. لفودة.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٧ / ٤٩٤).

مَعْنَى مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ وَحَالِئِهَا

مَعْنَى مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ: عَدَمُ مُمَازَلَتِهِ تَعَالَى لِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةً، وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلًا. وَضِدُّ الْمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ الْمُمَازَلَةُ لَهَا، فَالْمُمَازَلَةُ لَهَا صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

= الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده^(١).

قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ذو العظمة والكبرياء^(٢).

[٢] قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]. والمعنى: إخبار بأنه تعالى الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت^(٣). فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَنَاءَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَسَائِرِ عَالَمِ اللَّهِ، وَبَرِيَّتِهِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالسَّبَاعِ وَالْأَنْعَامِ، وَكُلِّ ذِي رُوحٍ أَنَّهُ هَالِكٌ مِيتٌ^(٤).

قوله «مَعْنَى مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ»: جمع حادث وهو: الموجود بعد العدم^(٥). ومعنى مخالفته تعالى للحوادث: عدم مماثلته لها في الذات والصفات والأفعال.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [النورى: ١١].

(في الذات): فذات الله تعالى ليست بجرم^(١)، بينما ذوات المخلوقات جرم، والجرم يشمل الجسم المركب والجوهر الفرد^(٢).

(وفي الصفات): فليس لمخلوق صفة كصفته تعالى، وإن أطلق لفظ عالم أو قادر على المخلوق فإنما هو اشتراك في اللفظ فقط، وأما المعنى والحقيقة فلا اشتراك بين الخالق والمخلوق على الإطلاق.

(وفي الأفعال): فأفعال الله تعالى خلق من العدم إلى الوجود، وأما أفعال العبد فهي اكتساب.

قوله «وَالدَّلِيلُ... الخ»): قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ معنى الآية: (مثل، صلة، أي: ليس هو كشيء، فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ آمَنُوا يَمُوتِلْ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقيل: الكاف صلة، مجازة: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).



(١) الجرم: ما كان يشغل فراغاً (حيزاً). انظر كتاب عون المريد (١/ ٢٣٣).

(٢) انظر تهذيب شرح السنوسية ص ٦٢. ((والجوهر الفرد هو: الجزء الذي لا يتجزأ، بحيث لا يقبل القسمة. وجميع الأجسام متركبة منه. والجوهر الفرد حادث بمعنى أنه مسبوق بالعدم عند أهل السنة والجماعة)). اهد بتصرف من تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٤.

(٣) انظر تفسير البغوي (٤/ ١٤٠).

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٦٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦١).

(٤) انظر الدر المنثور في التفسير بالماثور (٦/ ٤٤٧).

(٥) انظر كتاب طالع البشرى ص ٩.

مَعْنَى قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَهُ

مَعْنَى قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: عَدَمُ احْتِيَاجِهِ تَعَالَى إِلَى شَيْءٍ يَقُومُ بِهِ، أَوْ مَحَلٍّ يَحِلُّ فِيهِ^(١)، [أَوْ مُخَصَّصٍ يُخَصَّصُهُ، أَوْ مُوجِدٍ يُوجِدُهُ]^(٢)، بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَضِدُّ قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ احْتِيَاجُهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَاحْتِيَاجُهُ إِلَى غَيْرِهِ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

قوله «مَعْنَى قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ^(٣)... الخ»: الاستغناء عن المحل والمُخَصَّص^(٤).

فالمراد «بالاستغناء عن المحل»: أي الذات^(٥) التي يوجد فيها، كما توجد الصفة في الموصوف؛ لأنه تعالى ليس بصفة بل هو ذات موصوفة بالصفات. وقد زعمت النصارى أن الله تعالى حلَّ في ذات عيسى عليه السلام.

والمراد «بالاستغناء عن المُخَصَّص»: أي الموجد والفاعل الذي يخصصه بالوجود بدلاً عن العدم؛ لأن الذي يحتاج إلى المخصص من يقبل العدم، والله تعالى لا يقبله

(١) معناهما واحد وهو: استغناؤه تعالى عن الذات.

(٢) معناهما واحد وهو: استغناؤه تعالى عن الموجد والفاعل.

(٣) بنفسه: أي بذاته، فإن النفس تطلق على الذات، وتطلق على معانٍ أخرى منها: (الروح): يقال خرجت نفسه أي روحه. (والدم): يقال ما لا نفس له سائلة أي ما لا دم له، (والعقوبة): قيل منه ويحذرهم الله نفسه، أي عقوبته. اهـ بتصرف من حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٣٧.

(٤) انظر كفاية العوام في علم الكلام مع حاشية الباجوري ص ٣٨.

(٥) إنما فسر المتكلمون (المحل) بالذات فقط، ولم يجعلوه شاملاً للذات وللمكان، مع أنه تعالى كما هو مستغني عن الذات، مستغني عن المكان، لأن ذلك علم من المخالفة للحوادث. اهـ بتصرف من تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٥٨.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

لا في ذاته ولا في صفة من صفاته^(١).

قوله: «وَالدَّلِيلُ... الخ»: [١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ معنى الآية: أي هم محتاجون إليه تعالى في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشعره^(٢).

[٢] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ معنى الآية: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائماً، ولهذا قال: ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ أي: إلى الله، وإلى ما عنده من الخير والرحمة^(٣).

والدليل العقلي على عدم افتقاره تعالى إلى المحل: أنه لو افتقر إلى محل لكان صفةً، ولو كان صفةً لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية وهي واجبة القيام به تعالى للأدلة الدالة على ذلك، لأن الصفة لا تقوم بالصفة بل بالذات.

والدليل العقلي على عدم افتقاره إلى المخصص: أنه لو افتقر إلى المخصص لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفة^(٤).

(١) انظر كتاب طالع البشرى على العقيدة السنوسية الصغرى ص ٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦ / ٥٤١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٧ / ٣٢٤)، فتح القدير للشوكاني (٥ / ٥١).

(٤) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٥٩.

مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَدَلِيلُهَا

مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ: عَدَمُ التَّعَدُّدِ، فَهُوَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَوَاحِدٌ فِي أَعْمَالِهِ. وَضِدُّ الْوَحْدَانِيَّةِ التَّعَدُّدُ، فَالتَّعَدُّدُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ﴾ [البقرة: ١٦٣].....

تنبيه: إن ذاته تعالى مستغنية عن المحل والمخصص معاً، وأما صفاته فهي مستغنية عن المخصص وقائمة بذاته تعالى، ولا يعبر فيها بالافتقار إلى الذات لما فيه من الإيهام^(١).

قوله: «(مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ... الخ)»: هي عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال^(٢). معنى الوجدانية في الذات: أمران أحدهما: عدم تركيب ذاته تعالى من أجزاء. وثانيهما: عدم وجود مماثل له في ذاته. ومعنى الوجدانية في الصفات: أمران أحدهما: عدم تعدد صفاته تعالى من جنس واحد، فليس له قدرتان فأكثر ولا إرادتان فأكثر.. وثانيهما: عدم ثبوت صفة لغيره تماثل صفة من صفاته. ومعنى الوجدانية في الأفعال: أمر واحد وهو عدم وجود مؤثر معه في شيء منها، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة له تعالى، فهو سبحانه المنفرد بالتأثير في جميع الممكنات^(٣).

قوله «(وَالِدَلِيلُ... الخ)»: [١] قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ﴾ معنى الآية:

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ٥٩.

(٢) انظر حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٤٠.

(٣) ملخص من كتاب طالع البشرى على العقيدة السنوسية الصغرى ص ١٠.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(١).

[٢] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) معنى الآية: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين: إن ربي الذي أعبدُهُ، والذي أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله^(٣).



(١) انظر تفسير ابن كثير (١ / ٤٧٤).

(٢) قال أبو البقاء: همزة (أحد) أصل بنفسها غير مقلوبة، وذكر أن أحد يفيد العموم دون واحد. ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهري: أنه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد؛ كما يقال رجل واحد، ودرهم واحد، قيل: والواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل فيه، فإذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد. انظر فتح القدير.

(٣) انظر صفوة التفاسير للصابوني (٣ / ٥٩٤).

مَعْنَى الْقُدْرَةِ وَدَلِيلُهَا

الْقُدْرَةُ هِيَ: صِفَةُ قَدِيمَةٍ قَائِمَةٍ بِذَاتِهِ تَعَالَى يُوجَدُ بِهَا مَا يَشَاءُ وَيُعَدِّمُ بِهَا مَا يَشَاءُ، عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ. وَضِدُّ الْقُدْرَةِ الْعَجْزُ، فَالْعَجْزُ صِفَةُ مُسْتَحِيلَةٍ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: «مَعْنَى الْقُدْرَةِ... الخ»: وهي الصفة السابعة^(١) من العشرين الواجبة لله تعالى، ومعنى: «قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ»: ملازمة لها. وقوله: «يُوجَدُ بِهَا مَا يَشَاءُ...»: أي من الممكنات. (والممكن هو): ما حكم العقل باستواء وجوده وعدمه. ومعنى «عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ»: أن إيجاد الله للممكن وإعدامه له على وفق تعلق إرادته وعلمه به؛ لأنه تعالى لا يوجد أو يعدم بقدرته إلا ما أراد وعلم وجوده أو عدمه من الممكنات. وبهذا تعلم أن تعلق القدرة فرع عن تعلق الإرادة والعلم، أي تابع له ومتأخر عنه في التعقُّل^(٢). وصفة القدرة تتعلق بالممكن فقط^(٣)، ولا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل؛ لأنها^(٤) إن تعلقت بالواجب: فلا يصح أن تعدمه؛ لأنه لا يقبل العدم

(١) وعرفها الشيخ الباجوري في كتابه تحفة المريد ص ٦٤ بقوله: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها - أي يتيسر - إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

(٢) بتصرف من كتاب طالع البشرى ص ١١.

(٣) تنبيه: لا يقال يلزم على عدم تعلق القدرة بالواجبات والمستحيلات نسبة العجز إلى الله تعالى لقصور قدرته وإرادته عن التعلق بهما، لأننا نقول: لا عجز ولا قصور - وإن توهمهما بعض الأغبياء من المتبدعة - وذلك لأن العجز والقصور إنما يلزمان فيما يمكن أن تتعلق به القدرة والإرادة، ولم تتعلقا به، أما ما لا يمكن أن تتعلقا به فلا يلزم فيه ذلك أصلاً. اهـ من كتاب طالع البشرى ص ١١.

(٤) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ٦٤.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].....

= ولا يصح أن توجده؛ لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

وإن تعلقت بالمستحيل: فلا يصح أن توجده؛ لأنه لا يقبل الوجود، ولا يصح أن تعدمه لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

قوله: «وَالدَّلِيلُ... الخ»: [١] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] معنى الآية: أي هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملّكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته^(١).

[٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهَ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ومعنى الآية: أي أنه سبحانه لا يفوته شيء، ولا يصعب عليه أمر في هذا الكون ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: أي بالغ العلم والقدرة، عالم بشئون الخلق، قادر على الانتقام ممن عصاه^(٢).



(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦).

(٢) انظر صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٥٣٣).

مَعْنَى الْإِرَادَةِ وَدَلِيلُهَا

الْإِرَادَةُ: هِيَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى يُخَصِّصُ بِهَا الْأَمْرَ الْمُمَكِّنَ بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكِنَةِ وَالْجِهَاتِ وَالصِّفَاتِ.

قوله: «(مَعْنَى الْإِرَادَةِ^(١)... الخ)»: وهي الصفة الثامنة^(٢) من العشرين الواجبة لله تعالى. قوله: «(يُخَصِّصُ بِهَا الْأَمْرَ الْمُمَكِّنَ)»: التخصيص هو جعل الممكن على صفات معينة. والإرادة تتعلق بالممكن كالقدرة. فصفة الإرادة تخصّص والقدرة تبرز، فزيد مثلاً يجوز عليه الطول والقصر، فالإرادة خصصته بالطول مثلاً، وأما القدرة فهي تبرز الطول من العدم إلى الوجود^(٣).

قوله: «(بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ)»: الذي يجوز على الممكن أمور متقابلة، لا يجتمع واحد منها مع مقابله، وهي ستة: (الوجود، والصفة، والمقدار، والجهة، والزمان، والمكان). وعبر «ببعض»، ولم يقل (بكل ما يجوز عليه) لأنه لو قال ذلك، لأدى إلى اجتماع الأضداد كالوجود والعدم... الخ، وزاد بعضهم في التعريف (على وفق العلم) ومعناه: أن تخصيص الله تعالى للممكن على وفق تعلّق علمه به؛ لأنه جلّ وعزّ لا يخصّص بإرادته إلا ما علم من الممكنات خيراً كان أو شراً. وبهذا تعلم أن

فَلَا يَكُونُ كَائِنٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِقَضَائِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ. وَضِدُّ الْإِرَادَةِ الْكَرَاهَةُ، فَالْكَرَاهَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى. وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

تعلّق الإرادة فرع عن تعلّق العلم، أي تابع له ومتأخر عنه في التعلّق^(١). قوله: «(فَلَا يَكُونُ كَائِنٌ... الخ)»: فهو سبحانه وتعالى له أن يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته، فيجعل هذا طويلاً أو قصيراً، حسناً أو قبيحاً، عالماً أو جاهلاً، في هذا المكان أو في غيره.

قوله: «(وَالدَّلِيلُ... الخ)»: [١] قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ معنى الآية: قال عطاء: لا يعجز عن شيء يريد، ولا يمتنع منه شيء طلبه^(٢). وروي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له -وهو في مرض الموت-: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعال لما أريد^(٣).

[٢] وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ومعنى الآية: يخبر تعالى أنه المتفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمر كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه^(٤).



(١) انظر كتاب طالع البشرى ص ١١.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٠٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥١).

(١) وترادفها المشيئة. من كتاب طالع البشرى ص ١١.

(٢) وذكر تعريفها الشيخ المارغني في كتابه طالع البشرى ص ١١ فقال: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها تخصيص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه، على وفق العلم.

(٣) انظر حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٤٧.

مَعْنَى الْعِلْمِ وَدَلِيلُهُ

الْعِلْمُ: هُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ تَنْكَشِفُ لَهُ تَعَالَى بِهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ
 انْكِشَافًا تَامًا مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ خَفَاءٍ. فَهُوَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. وَضِدُّ الْعِلْمِ الْجَهْلُ، فَالْجَهْلُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.
 وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
 [المجادلة: ٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].....

قوله: «مَعْنَى الْعِلْمِ... الخ»: وهي الصفة التاسعة^(١) من العشرين الواجبة لله تعالى.
 قوله: «تَنْكَشِفُ»: أي تتضح. و«الْأَشْيَاءُ»: المراد بها جميع الواجبات والجاثرات
 والمستحيلات. قوله: «انْكِشَافًا تَامًا»: أي من جميع الوجوه. قوله: «مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ
 خَفَاءٍ»: أي أَنَّ علمه تعالى لم يسبقه جهل، بل هو صفة قديمة.

قوله: «لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ»: أي أنه تعالى يعلم بالمخلوقات كلها، في الأرض
 والسماء، ومن جملة ما لا يخفى عليه إيمان من آمن من خلقه، وكفر من كفر، قال
 تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٢٥].
 قوله: «وَالِدَلِيلُ... الخ»:

[١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧] =

معنى الآية: ألم تعلم أيها السامع العاقل أن الله مطلع على كل ذرة في الكون، لا
 يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه سر ولا علانية^(١).

[٢] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] معنى الآية: أي لا
 يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان.

[٣] قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] معنى الآية: ألا
 يعلم السر، ومضمرات القلوب من خلق ذلك وأوجده، فالموصول عبارة عن
 الخالق، ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق، وفي يعلم ضمير يعود إلى الله، أي: ألا
 يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: الذي لطف
 علمه بما في القلوب، الخبير بما تسره وتضمرة من الأمور^(٢).



(١) انظر صفوة التفاسير للصابوني (٣/ ٣١٨).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١٢).

(١) وذكر تعريفها الشيخ الباجوري بقوله: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ينكشف بها المعلوم انكشافاً
 على وجه الإحاطة، من غير سبق خفاء. انظر كتاب كفاية العوام في علم الكلام ص ٩٤.

مَعْنَى الْحَيَاةِ وَحَيَاتِهَا

الْحَيَاةُ: هِيَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، تَقْتَضِي صِحَّةَ اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُدْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَيَاةِ. وَحَيَاتُهُ تَعَالَى أَبَدِيَّةٌ سَرْمَدِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ لَيْسَتْ بِوَاسِطَةٍ شَيْءٍ بِخِلَافِ حَيَاتِنَا. وَضِدُّ الْحَيَاةِ الْمَوْتُ، فَالْمَوْتُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: «مَعْنَى الْحَيَاةِ... الخ»: وهي الصفة العاشرة^(١) من العشرين الواجبة لله تعالى.

قوله: «تَقْتَضِي»: أي تصحح الاتصاف بهذه الصفات المذكورة، وليس المراد أن الحياة يلزم منها بقية الصفات؛ لأن الحياة لا يلزم منها شيء مطلقاً، إلا أن هذه الصفات واجبة في حقه تعالى لقيام الأدلة عليها^(٢).

قوله: «وَحَيَاتُهُ تَعَالَى أَبَدِيَّةٌ سَرْمَدِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ... الخ»: الحياة الذاتية هي: التي ليست بتأثير مؤثر وفعل فاعل، ولا تقبل العدم في الأزل، ولا في الأبد... وحياتنا ليست ذاتية بل بسبب الروح^(٣).

(١) وقد ذكر تعريفها الشيخ المارغني في كتابه طالع البشري ص ١٢ بقوله: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى

تقتضي صحة اتصافه بالعلم وغيره من الصفات.

(٢) بتصرف من حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٥٠.

(٣) تعريف الحياة الحادثة هي: كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية. أي عرض يلزمه قبول

الإحساس، وقبول الحركة الإرادية. اهـ انظر تحفة المريد ص ٧١.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥] وَقَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].....

قوله: «وَالدَّلِيلُ... الخ»: [١] قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ معنى الآية: أي هو تعالى المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية، الباقي الذي لا يموت، لا إله سواه^(١).

[٢] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ معنى الآية: إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً، القيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره^(٢).



(١) نظر صفوة التفاسير للمصابوني (٣/ ١٠٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

مَعْنَى السَّمْعِ وَجَلِيلُهُ

السَّمْعُ: صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَنْكَشِفُ لَهُ تَعَالَى بِهَا كُلُّ مَوْجُودٍ، مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ خَفَاءٍ. وَسَمِعُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ صَمَاحٍ وَلَا أُذُنٍ^(١). وَضِدُّ السَّمْعِ الصَّمَمُ، فَالصَّمَمُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «مَعْنَى السَّمْعِ... الخ»: وهي الصفة الحادية عشرة^(٢) من العشرين الواجبة لله تعالى.

قوله: «كُلُّ مَوْجُودٍ»: أي الأصوات، وغيرها كالذوات، وهو رأي الإمام السنوسي وهو المرجح^(٣)، فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات، بمعنى أن كلاً منهما منكشف لله تعالى بسمعه. ويجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأن كلاً منهما غير الانكشاف بالعلم، ولكل حقيقة يفوض علمها لله تعالى^(٤).

قوله: «(مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ خَفَاءٍ)»: أي أن سمعه تعالى لم يسبقه جهل، بل هو صفة قديمة.

(١) تعريف السمع الحادث: هو قوة خلقها الله تعالى في الأذنين، تدرك بها الأصوات على وجه العادة.

بتصرف من كتاب طالع البشري ص ١٣. والصَّباح: هو خرق الأذن.

(٢) وقد عرفها الشيخ المارغني في كتابه طالع البشري ص ١٣ بقوله: «هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل موجود على وجه الإحاطة».

(٣) من كتاب كفاية العوام ص ٥٤. وقال السعد: «تعلق صفة السمع بالمسموعات، والبصر بالمبصرات. انظر تحفة المريد ص ٧٣».

(٤) من تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٧٣.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله: «وَالدَّلِيلُ... الخ»: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] معنى الآية: أي هو تعالى السميع لأقوال العباد، البصير بأفعالهم^(١).



(١) انظر صفوة التفسير للصابوني (٣/ ١٢٥).

مَعْنَى الْبَصَرِ وَتَلِيلُهُ

الْبَصَرُ: صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَنْكَشِفُ لَهَا بِهَا جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، انْكِشَافًا غَيْرَ انْكِشَافِي الْعِلْمِ وَالسَّمْعِ. وَبَصَرُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ حَدَقَةٍ وَلَا أَجْفَانٍ^(١)، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرَى حَتَّى النَّمَلَةَ السَّوْدَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ^(٢)، وَيَسْمَعُ دَبِّيئَهَا^(٣). وَضِدُّ الْبَصَرِ الْعَمَى، فَالْعَمَى صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله: «مَعْنَى الْبَصَرِ... الخ»: وهي الصفة الثانية عشرة^(٤) من العشرين الواجبة لله تعالى.

قوله: «جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ»: أي المبصرات، وغيرها كالأصوات، مثل صفة السمع.

قوله: «وَبَصَرُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ حَدَقَةٍ... الخ»: أي أن سمعه وبصره تعالى ليسا كسمعنا وبصرنا، لأن سمعنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات وهي الأصوات، بشرط عدم البعد جداً، وعدم السُّرِّ جداً، وبصرنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات وهي الأجسام وألوانها وحركاتها وسكونها، بشرط أن يكون المرئي في =

(١) تعريف البصر الحادث: هو قوة خلقها الله تعالى في العينين، تدرك بها الصور على وجه العادة. يتصرف من كتاب طالع البشرى ص ١٣. والحدقة: هي السواد المستدير وسط العين، والجفن: غطاء العين من أعلاها وأسفلها.. انظر المعجم الوسيط.

(٢) الصخرة الصماء: هي الصلبة.

(٣) دَبُّ النَّمْلِ وغيره من الحيوان على الأرض يَدْبُ دَبًّا وَدَبِيًّا: مشى على هَيْئَتِهِ. انظر لسان العرب.

(٤) وقد ذكر تعريفها الشيخ المارغني في كتابه طالع البشرى ص ١٣ بقوله: هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل موجود على وجه الإحاطة.

مَعْنَى الْكَلَامِ وَتَلِيلُهُ

الْكَلَامُ: هُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، دَالَّةٌ عَلَى جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْجَائِزَاتِ. وَكَلَامُهُ تَعَالَى نَفْسِيٌّ قَدِيمٌ، لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ

= جهة الأمام، وأن لا يكون بعيداً جداً، ولا قريباً جداً.

قوله: «مَعْنَى الْكَلَامِ... الخ»: وهي الصفة الثالثة عشرة^(١) من العشرين الواجبة لله تعالى.

قوله: «دَالَّةٌ عَلَى جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْجَائِزَاتِ»: أي أن كلامه تعالى يدل على الواجبات كمدلول قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعلى المستحيلات كمدلول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] وعلى الجائزات كمدلول قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

وقوله: «لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ»: أي ليس لكلامه تعالى حرف ولا صوت، لأن الحروف حادثة بدليل التقدم والتأخر، فعندما نقول: (زيد) فقبل أن تنطق بالزاي أين كان الزاي؟ كان معدوماً ثم وجد، ومثله الياء والdal. وهكذا كل الحروف متغيرة من العدم إلى الوجود، وكل متغير من العدم إلى الوجود فهو حادث.

ومثلها الأصوات فهي متغيرة أيضاً، لذا فهي حادثة. ولا يجوز أن تكون صفة من صفاته تعالى حادثة.

(١) وقد ذكر تعريفها الشيخ الباجوري في كتابه كفاية العوام [ص ٥٤] بقوله: هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت.

وَلَا لِسَانٍ وَلَا شَفَتَيْنِ وَلَا فَمٍ وَلَا حَلْقٍ، وَلَا يُوصَفُ بِعَرَبِيٍّ، وَلَا سَرِيَانِيٍّ وَلَا غَيْرَهُمَا مِنَ اللُّغَاتِ الْحَادِثَةِ. وَضِدُّ الْكَلَامِ: الْخَرَسُ، فَالْخَرَسُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

* واعلم أن كلام الله تعالى^(١) يطلق على معنيين:

[١] الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى.

[٢] على اللفظ المكتوب بين دفتي المصحف (القرآن)^(٢).

قوله: «وَالدَّلِيلُ... الخ»: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ معنى الآية: يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة؛ لأن تأكيد كَلَّمَ بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك؛ لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر، فلا يقال أراد الحائط يسقط إرادة. وهذا رد على من يقول إن الله خلق كلاماً في محل، فسمع موسى ذلك الكلام^(٣).

وبقيت سبع صفات تمام العشرين الواجبة لله تعالى وهي الصفات المعنوية سيذكرها المصنف في أقسام الصفات الواجبة، ويذكر شرحها هناك...

(١) بتصرف من كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٧٢

(٢) وتسمى الكتب السماوية أيضاً بكلام الله تعالى، لأنها دالة على بعض مدلوله المترجم بها عنه. كما يقال للكلام المترجم به عن السلطان مثلاً: هذا كلام السلطان. اهـ من كتاب طالع البشري ص ١٤

(٣) انظر تفسير الخازن المسمى [لباب التأويل في معاني التنزيل] [١/ ٤٤٩]. [والكلام هو منتهى مراتب الوحي، خص به موسى من بين الأنبياء، وقد فضل الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن كلّمه من غير واسطة وبدون حجاب]. بتصرف من تفسير البيضاوي (٢/ ١٠٩).

أقسام الصفات الواجبة

تَنْقَسِمُ الصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: نَفْسِيَّةٌ وَسَلْبِيَّةٌ وَمَعَانِي وَمَعْنَوِيَّةٌ.

الصفة النفسية

فَالصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ: هِيَ مَا لَا تُعْقَلُ وَلَا تُعْرَفُ الذَّاتُ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ (الْوُجُودُ).

قوله: «أَقْسَامُ الصِّفَاتِ الْوَاجِبَةِ...»: بدأ المصنف في تقسيم صفات الله تعالى وبدأ بالقسم الأول وهو «الصفة النفسية»^(١): «وَهِيَ مَا لَا تُعْقَلُ وَلَا تُعْرَفُ الذَّاتُ إِلَّا بِهَا»^(٢). (لا تعقل): أي لا تتصور الذات بالعقل وتدرك إلا بصفته النفسية، مثل التحيز للجرم، فإنك إن تصورته وأدركته، أدركت أنه متحيز. وكذلك ذات الله تعالى لا تتصور بدون صفة الوجود. فالوجود صفة نفسية تدل على نفس ذات الله تعالى.



(١) وسميت نفسية: لأنها لا تستلزم إلا النفس، أي الذات، بخلاف المعنوية فإنها كما تستلزم الذات،

تستلزم المعاني. اهـ من حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٢٧

(٢) وذكر هذا التعريف في كتاب كفاية العوام في علم الكلام. ص ٢٧

الصفات السلبية

وَالصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ خَمْسٌ وَهِيَ: (الْقِدَمُ وَالْبَقَاءُ وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ

قوله: «وَالصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ ... الخ»: وهذا هو القسم الثاني من أقسام صفات الله تعالى. الصفات السلبية: وهي ما كان مدلولها سلب صفة لا تليق به سبحانه وتعالى^(١). وسميت سلبية: نسبة إلى السلب بمعنى النفي؛ لأن معنى كل منها سلب عن الله تعالى نقائص لا تليق بجلاله وكماله. وليست منحصرة على الصحيح، وعدّ المصنف منها خمساً لأن ما عداها من نفي الولد والصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها ولو بالالتزام، فهي أهماتها أي أصولها المهمات^(٢). وهي كما يلي:

[١] صفة «القدم»: سلبت عن الله تعالى العدم السابق، أي لم يكن معدوماً ثم وجد. وكلّ ما ثبت قِدَمُه استحالة عدُمه^(٣).

[٢] صفة «البقاء»: سلبت عن الله تعالى العدم اللاحق.

[٣] صفة «مخالفته تعالى للحوادث»: سلبت ونفت عن الله تعالى عشرة أشياء^(٤):

١. أن يكون جرمًا من الأجرام، بأن تأخذ ذاته العلية قدرًا من الفراغ.
٢. أن يكون عَرَضًا، أي يقوم بالجرم، والعرض بفتح الراء لا يكون إلا حادثًا، بخلاف

(١) انظر كتاب العقيدة الإسلامية ص ١٢٤

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥٤

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥٥

(٤) انظر كتاب طالع البشرى ص ١٦-١٧

الصفة فقد تكون حادثة إذا كانت لحادث، وقد تكون قديمة إذا كانت لقديم.

٣. أن يحويه زمان.

٤. وأن يضمه مكان. والمراد بتقيده تعالى بالزمان والمكان: أن لا يتحقق وجوده إلا فيهما. وإنما استحالة عليه عز وجل التقييد بهما لأنها حادثان، فلا يتقيد بهما إلا الحادث مثلها، والله سبحانه قديم.

٥. أن يكون في جهة من الجهات الست، فليس الله تعالى فوق جرم من الأجرام كالعرش ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله.

٦. أن تكون له هو جهة خاصة، فليس له فوق ولا تحت ولا أمام ولا خلف ولا يمين أو شمال.

٧. أن يوصف بالكِبَر: أي كثرة الأجرام.

٨. أن يوصف بالصِغَر: أي قلتها.

٩. أن يكون محلًّا للحوادث: فلا يتصف تعالى بحركة ولا سكون ولا بياض ولا سواد ولا طول ولا عرض.

١٠. أن توصف أفعاله بالأغراض: وهي جمع غَرَض: وهو الأمر الباعث أي الحامل على فعل أو حكم. ويسمى سببًا باعثًا وعلة باعثة، فالله تعالى يستحيل عليه أن يتصف بغرض يبعثه على فعل من الأفعال كإيجاده لزيد، أو على حكم من أحكامه كإيجابه للصلاة. نعم أفعال الله وأحكامه لا تخلو عن حكمة وإن لم تصل إليها عقولنا؛ لأنها لو خلت عن الحكمة لكانت عبثًا وهو محال عليه تعالى. والحكمة: ما يترتب على الفعل أو الحكم، ولا يكون باعثًا عليه كالركوب والزينة

وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ وَالْوَحْدَانِيَّةُ. وَسُمِّيَتْ سَلْبِيَّةً؛ لِأَنَّهَا سَلَبَتْ وَنَقَتْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى نَقَائِصَ لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

فإنهما الحكمة في خلق الله الخليل والبغال والحمير كما ذكره تعالى.

[٤] صفة «قيامه تعالى بنفسه»: سلبت عنه تعالى الحلول والاتحاد^(١).

فالحلول: هو أن تعتقد أن الله تعالى حال في العالم أو في ذات من الذوات كما تحل الصفة في موصوفها. وقد زعمت النصارى أن الله تعالى حلّ بذات عيسى. وهذا كفر صريح، لأن الله تعالى لو حلّ في شيء، لكان صفة له، ولو كان صفة له لم يصح وصفه بصفات المعاني والمعنوية.

والاتحاد: هو صيرورة الشئين شيئاً واحداً، أي أن تعتقد أن الله تعالى متحد مع العالم. وهذا مستحيل عقلاً لأنّ الشئين إذا اتحدا فإن بقياً موجودين على حالهما فلا اتحاد لأنهما اثنان، وإن عُدّما معاً كان الموجود غيرهما فلم يتحدا، وإن عدم أحدهما دون الآخر، امتنع الاتحاد لأن المعدوم ليس عين الموجود، والقول بالاتحاد كفر بإجماع المسلمين.

[٥] صفة «الوحدانية»: سلبت عن الله تعالى كموماً خمسة^(٢):

(فوحدة الذات): تنفي عنه تعالى كمّاً متصلاً: وهو تركب الذات من أجزاء.

وكمّاً منفصلاً: وهو تعدد الذوات بحيث يكون هناك إله ثانٍ فأكثر.

(ووحدة الصفات): تنفي عنه تعالى كمّاً متصلاً: وهو تعدد صفاته تعالى من جنس

(١) بتصرف من كتاب تهذيب شرح السنوسية ص ٦٧

(٢) بتصرف من كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٦٠ [والكم: هو المقدار القائم بالشيء الذي

يقبل القسمة. اهـ من حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٤١]

واحد كقدرتين فأكثر، وكمّاً منفصلاً: وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى.

(ووحدة الأفعال): تنفي عنه تعالى كمّاً منفصلاً فقط وهو أن يكون لغير الله تعالى فعل من الأفعال على وجه الإيجاد والإعدام، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار.

تنبيه: أما الكم المتصل في الأفعال: فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه، لأن أفعاله تعالى كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة وغير ذلك، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال فهو منفي أيضاً بوحدة الأفعال.



صفات المعاني

وَصِفَاتُ الْمَعَانِي ^(١) سَبْعٌ وَهِيَ: الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ. وَسُمِّيَتْ بِالْمَعَانِي: لِأَنَّهَا أُثْبِتَتْ لِلَّهِ تَعَالَى مَعَانٍ وَجُودِيَّةٌ تَلِيْقُ بِكَمَالِهِ.

قوله: «وَصِفَاتُ الْمَعَانِي... الخ»: وهذا هو القسم الثالث من أقسام صفات الله تعالى. وتعريفها: هي كل صفة وجودية قائمة بالذات، موجبة لها حكماً ^(٢).

توضيح التعريف: (وجودية): أي موجودة، بحيث لو كشف لنا الغطاء لرأيناها. (قائمة بالذات): أي ملازمة لها وهي زائدة عن الذات. (موجبة لها حكماً): أي تستلزم صفة أخرى هي الصفة المعنوية. فقولُه: «وَصِفَاتُ الْمَعَانِي»: المراد الصفات التي هي المعاني، فالإضافة في صفات المعاني للبيان.

قوله: «وَهِيَ: الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ»: قد تقدّم الكلام على كل صفة منها.

تنبيه: قد نفت المعتزلة صفات المعاني هذه فقالوا: إنه تعالى قادر بذاته، مريد بذاته من غير قدرة ولا إرادة وهكذا إلى آخر الصفات، فأثبتوا المشتق دون المشتق منه، فيلزم من ذلك أن يكون ذاته تعالى علماً وقدرة وحياة، وهذه الصفات لا تقوم بنفسها، والذات تقوم بنفسها ^(٣).

(١) صفات المعاني تسمى بصفات الذات؛ لأنها صفات وجودية قائمة بالذات. عون المريد ١/ ٤١٠.

(٢) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ٤٠٥). وتسمى بصفات المعاني: لأن كلاً منها صفة موجودة، وكل صفة موجودة تسمى في اصطلاح المتكلمين صفة معنى. اهـ طالع البشرى ص ١٠.

(٣) بتصرف من كتاب عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/ ٤٠٥).

الصفات المعنوية

وَالصِّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ سَبْعٌ وَهِيَ: كَوْنُهُ تَعَالَى قَادِرًا، وَمُرِيدًا، وَعَالِمًا، وَحَيًّا، وَسَمِيعًا، وَبَصِيرًا، وَمُتَكَلِّمًا. وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِصِفَاتِ الْمَعَانِي.

وأورد المعتزلة على أهل السنة شبهتهم بقولهم:

إن النصارى كفروا بزيادة إلهين، فالقائلون بهذه الصفات - أي صفات المعاني - معرضون للكفر لإثبات قدماء ثمانية [أي الذات وصفات المعاني السبع؛ لأنها قديمة]!! والجواب عن هذه الشبهة: أنه إذا قلنا: إن صفة المعاني منفكة عن الذات، بحيث تكون ذات مستقلة، فهذا هو المحذور المبطل للتوحيد، وليست صفات المعاني مغايرة للذات بهذا المعنى وهو أنها منفكة عنها، بل هي غير ملازم للذات، فلم يلزم التعدد المبطل للتوحيد ^(١).

قوله: «وَالصِّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ... الخ»: وهذا هو القسم الرابع من أقسام صفات الله تعالى. وقد اختلف الأشاعرة والماتريدية في ثبوت هذه الصفات، والحاصل كما يلي:

[١] الماتريدية: أثبتوا هذه الصفات؛ لأنهم قالوا بثبوت الأحوال ^(٢)، وعرفوا الصفات المعنوية بقولهم: هي عبارة عن كل حال تُثَبَّتُ للذات، معللة بمعنى

(١) بتصرف من كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٨٠.

(٢) والحال: هو صفة لا موجودة ولا معدومة، بل هي واسطة بين الوجود والمعدوم. بمعنى: أن لها ثبوتاً لكن لم تصل إلى درجة الوجود حتى تُرى، ولم تنحط إلى درجة المعدوم حتى تكون عدماً محضاً. لذا فالصفات الواجبة عند الماتريدية عشرون صفة. اهـ بتصرف من كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٧٧.

قائم بالذات^(١).

(معللة بمعنى): المراد بالمعنى هنا هو صفات المعاني، لأن الصفات المعنوية لازمة عنها. والتعليل: إذا أطلق في صفات الله تعالى فمعناه التلازم، أي أن الصفة الواجبة له تعالى كالعلم - مثلاً - تلازم صفة أخرى واجبة له تعالى تسمى كونه عالماً. وليس معنى التعليل أن صفة العلم أفادت كونه عالماً، الثبوت بعد أن كانت معدومة، وإلا للزم سبق العلم على كونه عالماً ضرورة سبق المؤثر على الأثر. أه^(٢).

* وعرفوا كل صفة معنوية كما يلي^(٣):

- ١- كونه تعالى قادراً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام القدرة بها.
 - ٢- كونه تعالى مريداً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام الإرادة بها.
 - ٣- كونه تعالى عالماً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام العلم بها.
 - ٤- كونه تعالى حياً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام الحياة بها.
 - ٥- كونه تعالى سميعاً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام السمع بها.
 - ٦- كونه تعالى بصيراً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام البصر بها.
 - ٧- كونه تعالى متكلماً: هي حال قائمة بالذات العلية، زائدة على قيام الكلام بها.
- [٢] الأشاعرة: قالوا بنفي الحال، وهو المختار عند المحققين حيث قالوا: إنه لا حال، وإن الحال محال^(٤).

(١) هذا التعريف من كتاب عون المريد شرح جوهره التوحيد (١/٣٩٢).

(٢) بتصرف من كتاب عون المريد شرح جوهره التوحيد (١/٣٩٢).

(٣) هذه التعاريف من كتاب طالع البشرى ص ١٥ [وقد مشى المصنف الحبيب محمد بن حفيظ في كتابه على مذهب الماتريدية، حيث عدّ تلك الأكوان السبعة من الصفات].

(٤) انظر كتاب تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ٧٧.

وقد أنكر الأشاعرة زيادة الصفات المعنوية على المعاني، بحيث تكون واسطة بين الموجود والمعدوم، لا إنكار كونه قادراً مثلاً من أصله؛ لأنه مجمع عليه فليس فيه خلاف، إنما الخلاف في زيادته على المعاني.

لذا قالوا في الصفات المعنوية: بأنها عبارة عن أمور اعتبارية، ثابتة في ذهن المعتبر، لا في الخارج عنه^(١). وقد عدّ الأشاعرة الصفات الواجبة لله تعالى ثلاث عشرة صفة. فمدلول كونه تعالى قادراً عندهم هو نفس قيام القدرة بالذات. لذا فلا تعدّ الأكوان السبعة من الصفات عند الأشاعرة، بل هي أمور اعتبارية فقط^(٢).

والخلاصة^(٣): أنهم اتفقوا على الكون قادراً مثلاً، لكن من قال بثبوت الأحوال - وهم الماتريدية - تكون هذه الصفات واسطة بين الموجود والمعدوم لازمة للقدرة. وعلى من قال بنفي الأحوال - وهم الأشاعرة - تكون عبارة عن قيام القدرة بالذات، فيكون أمراً اعتبارياً. وهذا كله عند أهل السنة.

الفرق بين صفات المعاني والمعنوية^(٤):

الفرق هو أن صفات المعاني صفات وجودية، والمعنوية ثبوتية اعتبارية، والثبوت قريب من الوجود، فالصفات المعنوية ثابتة للذات، لا من حيث إنها قائمة بها كالمعاني، بل من حيث إنها عبارة عن قيام المعاني بالذات وهذا هو المعتمد.

(١) انظر كتاب طالع البشرى ص ١٥.

(٢) والأحوال على القول بها أرقى من الأمور الاعتبارية. انظر التعليق في تحفة المريد ص ٧٧.

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ٧٧ - ٧٨.

(٤) بتصرف من كتاب عون المريد شرح جوهره التوحيد (١/٤٠٥).

حكم من نفى صفات المعاني أو المعنوية^(١):

من نفى الصفات المعنوية وأثبت ضدها فهو كافر، كمن نفى كونه تعالى عالماً، وأثبت ضده وهو كونه جاهلاً. أما من نفى الصفات المعنوية ولم يثبت ضدها بمعنى أنه ينفي أن يكون لله صفة قديمة يقال لها كونه عالماً، وهو مثبت لانكشاف الأشياء له تعالى بذاته أزلاً فلا ضرر في ذلك.

أما صفات المعاني: فنفي زيادتها على الذات مع إثبات أحكامها لله تعالى موجب للفسق فقط، أما نفيها مع إثبات أضدادها فكفر.

متعلقات صفات المعاني^(٢):

- ١ - صفة القدرة: تتعلق بالممكنات فقط، وقد سبق توضيح ذلك.
- ٢ - صفة الإرادة: تتعلق بالممكنات فقط، وقد سبق توضيح ذلك أيضاً.
- ٣ - صفة العلم: تتعلق بالواجب والمستحيل والجائز، فالواجب كذاته تعالى وصفاته، فيعلم سبحانه بعلمه ذاته وصفاته التي منها العلم. والمستحيل كالشريك والولد، فيعلم أنه لا شريك له ولا ولد. والجائز كذوات المخلوقات وصفاتها وأفعالها.
- ٤ - صفة الحياة: لا تتعلق بشيء، بل هي صفة قائمة بالذات فقط.

(١) بتصرف من عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١/٤٠٦).

(٢) انظر كتاب طالع البشري [تنبيه: الذي اعتمده المحققون أن التعلق للمعاني فقط، وقال بعض المتكلمين: للمعنوية. ولم يقل أحد بأن التعلق للمعاني والمعنوية معاً، وإلا لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد.. انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٨١]. وسبق تعريف التعلق: وهو طلب الصفة أمراً زائداً على الذات، يصلح لها.

(٥-٦) صفتي السمع والبصر: تتعلقان بالموجودات (الواجب والجائز): فالواجب كذاته وصفاته، فيسمع سبحانه ويرى ذاته العلية وجميع صفاته الوجودية التي منها السمع والبصر، والجائز كذوات المخلوقات، فيسمع ويرى ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية. ولا تتعلق صفتي السمع والبصر بالمعدوم، لأن المعدوم ليس موجوداً، وصفتي السمع والبصر لا تتعلق بالمعدوم.

٧- صفة الكلام: تتعلق بالواجب والمستحيل والجائز، فتعلقها بالواجب: بمعنى أنه تعالى أخبر عن الواجب، أي أخبر عن ذاته وصفاته، وتعلقها بالمستحيل: بمعنى أنه تعالى أخبر عن المستحيل، أي أخبر أن ليس له شريك، وتعلقها بالجائز: بمعنى أنه تعالى أخبر عن الجائز كالإخبار عن الأمم السابقة، وقصص الأنبياء وكلامهم.

خلاصة متعلقات صفات المعاني كما يلي^(١):

- (١) ما يتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات جميعاً: وهي صفة العلم والكلام. ولكن تعلق العلم تعلق انكشاف، بينما تعلق الكلام تعلق دلالة، بمعنى أن كلامه تعالى دالٌّ أزلاً وأبداً على جميع معلوماته التي لا نهاية لها.
- (٢) ما يتعلق بالممكنات فقط: وهي صفة القدرة والإرادة. ولكن تعلق القدرة تعلق إيجاد وإعدام، بينما تعلق الإرادة تعلق تخصيص.
- (٣) ما يتعلق بالموجودات [الواجب والجائز]: وهي صفة السمع والبصر.
- (٤) ما لا يتعلق بشيء: وهي صفة الحياة، فهي بالنسبة لله تعالى صفة قائمة بذاته لا تعلق لها بشيء سواه.

(١) بتصرف من كتاب العقيدة الإسلامية ص ٢٠١.

النُّبُوءَاتُ

الْصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ
الْصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَهِيَ:
الْصُّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالتَّبْلِيغُ وَالْفِطَانَةُ.

الْصِّفَاتُ الْمُسْتَحِيلَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ

وَالصِّفَاتُ الْمُسْتَحِيلَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ
وَهِيَ: الْكَذِبُ وَالْخِيَانَةُ وَالْكَتْمَانُ وَالْبَلَادَةُ.

قوله: «الْصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ... الخ»: لما أنهى المصنف الكلام على ما
يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز، شرع في الكلام على ما يجب في حق
الرسول عليهم الصلاة والسلام من الصفات وما يستحيل وما يجوز.

قوله: «الْصُّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالتَّبْلِيغُ وَالْفِطَانَةُ»: أي يجب على المكلف أن يعرف
الصفات الواجبة في حق الرسول عليهم الصلاة والسلام، وهي هذه الأربع
المذكورة، وسيأتي توضيحها إن شاء الله تعالى.

قوله: «وَالصِّفَاتُ الْمُسْتَحِيلَةُ... الخ»: معنى استحالتها عدم ثبوتها لهم.

فُضِدَ الصُّدْقُ: الْكَذِبُ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ فِي دَعْوَاهُمُ الرِّسَالَةَ، وَفِي
الْأَحْكَامِ الَّتِي بَلَّغُوهَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى.

وَضِدُّ الْأَمَانَةِ: الْخِيَانَةُ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ فِعْلَ الْمَحْرَمِ مُطْلَقًا، وَالْمَكْرُوهِ عَلَى وَجْهِ

الْصِّفَاتُ الْجَائِزَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ

وَالصِّفَاتُ الْجَائِزَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ وَاحِدَةٌ
وَهِيَ: (الْأَعْرَاضُ الْبَشَرِيَّةُ) الَّتِي لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ، كَالْأَكْلِ

كونه مكروهاً، وخلاف الأولى على وجه كونه خلاف الأولى، وأما على وجه آخر
كالتشريع وبيان الجواز فيقع منهم، فقد ثبت أن نبينا ﷺ طلق، وتوضاً مرةً مرةً،
ومرتين مرتين، وشرب قائماً، وبال قائماً، وكل ذلك للتشريع وبيان الجواز^(١).

وَضِدُّ التَّبْلِيغِ: الْكَتْمَانُ، فَيَسْتَحِيلُ الْكَتْمَانُ وَلَوْ سَهَوًا، لِأَنَّ السَّهْوَ لَا يَجُوزُ
عَلَيْهِمْ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي بَلَّغُوهَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى.

وَضِدُّ الْفِطَانَةِ: الْبَلَادَةُ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْبَلَادَةُ، لِأَنَّهُمْ دَائِمًا يَتَعَرَّضُونَ فِي
دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَخُصُومٍ يَجَادِلُونَهُمْ.

قوله: «وَالصِّفَاتُ الْجَائِزَةُ... الخ»: الصفة الجائزة في حق الرسول عليهم
الصلاة والسلام واحدة فقط وهي تعرضهم للأعراض^(٢) البشرية^(٣) التي لا تؤدِّي
إلى نقصٍ في مراتبهم العلية، كالأكل والشرب والمرض بغير منفير، والمشْي في

(١) بتصرف من كتاب طالع البشري ص ٣٠ [تنبيه: ما أوهم من الكتاب أو السنة وقوع المعصية من الأنبياء،

فلا يعتدّ بظاهره، لأنه مؤول أي مصروف عن ظاهره عند أهل السنة. اهـ طالع البشري ص ٣٠]

(٢) خرج بالأعراض: صفات الإله فلا تجوز عليهم، خلافاً للنصارى فإنهم وصفوا سيدنا عيسى بها
فجعلوه إلهاً. من كتاب طالع البشري ص ٣١

(٣) خرج بالبشرية: صفات الملائكة، فلا تجوز عليهم، خلافاً لجهلة العرب في زعمهم أن الرسول يكون
متصفاً بصفات الملائكة فلا يأكل ولا يشرب، فأدّاهم ذلك إلى تكذيب سيدنا محمد ﷺ كما حكاها الله
تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رُسُولٌ يَأْتِكُم بِالْحَقِّ الْقَلَمَاءِ﴾ [الفرقان: ٢٧] من كتاب طالع البشري ص ٣١.

وَالشُّرْبِ وَالْمَرَضِ بِغَيْرِ مُتَقَرٍّ وَالْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالزَّوْاجِ.

الأسواق والزواج والبيع والشراء والنوم لكن بأعينهم فقط دون قلوبهم، وخروج النبي لكن بدون احتلام لأنه من تلاعب الشيطان، فلا يجوز للشيطان أن يتسلط عليهم.

ومما يدل على وقوع الأعراض البشرية في حقهم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

أما الجذام والبرص والعمى وغير ذلك من الأمور المنفرة فهي مستحيلة في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم. ولم يثبت أن شعبياً كان ضريراً، وأما ما كان ليعقوب فهو حجاب على العين من تواصل الدموع، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيراً. قال الألوسي عند قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، إن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبت إلى بياض كدير^(١).

وما كان بأيوب من البلاء لم يكن منفراً، وما اشتهر عنه من الحكايات المنفرة فهي باطلة من فعل اليهود^(٢).



مَعْنَى الصِّدْقِ

الصِّدْقُ هُوَ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ جَمِيعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ. وَضِدُّ الصِّدْقِ الْكَذِبُ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِغَيْرِ الْوَاقِعِ، فَالْكَذِبُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: «(مَعْنَى الصِّدْقِ... الخ)»: بدأ المصنف يوضح الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي كما يلي:

[١] الصدق: وهو مطابقة الخبر للواقع^(١). ودليل وجوبه قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

والدليل العقلي على صدقهم^(٢): أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: «صدق عبيدي في كل ما يبلغ عني»^(٣).

وقد اتفق السلف - من صحابة وتابعين - وأجمعوا على أنه ﷺ معصوم من الكذب في حال رضاه وفي حال غضبه وحال مزحه وصحته ومرضه، لسلامة قلبه

(١) وقد ذكر هذا التعريف في تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٢٢.

(٢) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٢/ ٧٤٥ - ٧٤٦).

(٣) وتوضيح هذه العبارة: أن الرسول إذا قال لقومه: أنا رسول الله إليكم، فقالوا له: ما الدليل على رسالتك؟ قال: انشقاق القمر مثلاً، فقالوا له: انت بما قلت. فشق الله له القمر عند قولهم المذكور تصديقاً لدعوى الرسل، فشق الله القمر نازل منزلة قوله تعالى: «صدق عبيدي في كل ما يبلغ عني...» بتصرف من كفاية العوام ص ٧٦.

(١) انظر تفسير الألوسي (روح المعاني): (٧/ ٣٩).

(٢) بتصرف من كتاب عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٢/ ٧٦٦).

مَعْنَى الْإِمَانَةِ

الْإِمَانَةُ هِيَ: عِصْمَتُهُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، مِنَ الْخِيَانَةِ بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ خِلَافِ الْأَوَّلَى.

وصحة لسانه. ومن ذلك ما جاء عن الحسن البصري قال: أتت عجوزٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال ﷺ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ السَّجَنَةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» قال: فولّت تبكي، فقال: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ﴿٥١﴾ ﴿عَرَبًا أَوَّابًا﴾ ﴿٥٢﴾ [الرواقية: ٣٥-٣٧]]»^(١).

قوله: «مَعْنَى الْإِمَانَةِ... الخ»: وهذه هي الصفة الثانية الواجبة في حق الرسل. [٢] الأمانة: هي عصمتهم ظاهراً وباطناً من الخيانة بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى^(٢).

قوله: (ظاهراً): فالعصمة ظاهراً: من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك، وقوله: (باطناً): فالعصمة باطناً: من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك.

(١) أخرجه الترمذي في الشرائع المحدثية برقم (٢٣٠). [ومعنى الآيات: إنا خلقنا النسوة خلقاً جديداً من غير توسط ولادة، بحيث يناسب البقاء والدوام، فجعلناهن أبكاراً: أي عذارى، وإن وطئن كثيراً، (عرباً): أي عاشقات متحبيبات إلى أزواجهن، (أتراباً): أي متساويات في السن، وهو سن ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة، وذلك أفضل أسنان النساء.. انظر شرح الباجوري للشرائع ص ٣٩١].

(٢) وقد ذكر هذا التعريف الشيخ الباجوري في حاشيته على كفاية العوام ص ٧٥ [والعصمة في اللغة: الحفظ من الشيء مع إمكان وقوعه من المحفوظ. وفي الاصطلاح: الحفظ من الشيء مع استحالة وقوعه من المحفوظ. وبهذا تعلم منع سؤاها إلا إن أريد بها المعنى اللغوي. اهـ من حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٧٥].

وَصِدُّ الْأَمَانَةِ الْخِيَانَةُ، وَهِيَ اِزْتِكَابُهُمْ فِعْلَ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ خِلَافِ الْأَوَّلَى. فَالْخِيَانَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال الشيخ ابن حجر رحمه الله: قد تقرر أن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر عمداً وسهواً، وجميع ما روي عنهم مما يخالف ذلك فيؤول كما بينه المحققون في محاله^(١).. وقد أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات. اهـ^(٢).

قال القاضي عياض رحمه الله: والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكيك في شيء من ذلك. وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان.. بل على إشراق أنوار المعارف، ونفحات ألطاف السعادة^(٣).

ودليل صفة الأمانة قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُرْسِيُّ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوَّاسِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

والدليل العقلي على أمانتهم^(٤): أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه، لانقلب المحرم أو المكروه طاعة في حقهم، فنكون نحن مأمورين بفعل ذلك المحرم أو المكروه، لأن الله تعالى أمرنا بالاعتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم إلا ما ثبت اختصاصهم به، ولا يأمر تعالى بفعل محرم أو مكروه، فتبين بهذا استحالة الخيانة عليهم =

(١) انظر الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيتمي (١/ ٥٢).

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٣٢٧)، عون المريد (٢/ ٧٣٠).

(٣) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٥٧).

(٤) بتصرف من كتاب طالع البشري ص ٣٢.

مَعْنَى التَّبْلِيغِ

وَالْتَّبْلِيغُ هُوَ: تَعْلِيمُهُمْ وَإِبْلَاغُهُمْ إِلَى النَّاسِ، جَمِيعٌ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَبْلِيغِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ. وَضِدُّ التَّبْلِيغِ: الْكُتْمَانُ، وَهُوَ إِخْفَاؤُهُمْ شَيْئاً مِمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ، فَالْكُتْمَانُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

= وإذا استحالت الخيانة عليهم وجبت لهم الأمانة وهو المطلوب.

قوله: «(مَعْنَى التَّبْلِيغِ... الخ)»: وهذه هي الصفة الثالثة الواجبة في حق الرسل.

[٣] التبليغ: هو تعليمهم وإبلاغهم إلى الناس، جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه من الشرائع والأحكام الدينية.

قوله: «(جَمِيعٌ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَبْلِيغِهِ)»: خرج به ما أمروا بكتمانه، أو خيروا في تبليغه وكتمانه، فإن تبليغه ليس واجباً، بل هو ممتنع في الأول وجائز في الثاني. اهـ^(١)

قوله: «(مِنَ الشَّرَائِعِ)»: هي جمع شريعة وهي: ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام^(٢). ودليل صفة التبليغ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [النساء: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

والدليل العقلي على التبليغ^(٣): أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق،

(١) انظر حاشية الباجوري على كفاية العوام ص ٧٥.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٢.

(٣) انظر كتاب طالع البشرى ص ٣٢.

مَعْنَى الْفِطَانَةِ

وَالْفِطَانَةُ هِيَ: كِمَالُ الذِّكَاءِ وَالنَّبَاهَةِ وَالتَّيَقُّظِ لِلْإِزَامِ الْخُصُومِ فِي الْمُحَاجَّةِ، وَإِبْطَالِ دَعَاوِيهِمْ. وَضِدُّ الْفِطَانَةِ الْبَلَادَةُ، وَهِيَ عَدَمُ التَّيَقُّظِ وَالتَّنْبُّهِ لِكَيْدِ الْخَصْمِ وَحِيلِهِ، وَالْعَجْزُ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ. فَالْبَلَادَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

= لانقلب الكتان طاعة في حقهم، فنكون نحن مأمورين بكتان بعض العلم النافع؛ لأن الله تعالى أمرنا بالاعتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، ولا يأمر تعالى بالكتان، لأنه محرم ولا يأمر تعالى بفعل محرم أو مكروه.. فتبين بهذا استحالة الكتان عليهم، وإذا استحال الكتان عليهم وجب لهم التبليغ وهو المطلوب.

قوله: «(مَعْنَى الْفِطَانَةِ... الخ)»: وهذه هي الصفة الرابعة الواجبة في حق الرسل.

[٤] الفطانة^(١): وهي كمال الذكاء والنباهة والتيقظ لإلزام الخصوم في المحاجة وإبطال دعاويهم. ودليل وجوب الفطانة لهم: قوله تعالى: ﴿وَيَحْدِثْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ حُجَّتُهَا أَتَيْنَهَا بِإِذْنِهِمْ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

والدليل العقلي على الفطانة^(٢): أن من لم يكن فطناً - بأن كان مغفلاً - لا تمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة، وهم يتعرضون في دعوتهم إلى الله عز وجل لخصوم يجادلونهم فلا يمكن دفعهم إلا بهذه الخصلة، لذلك كان النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً.

(١) وقد عرفها الشيخ الباجوري في كتابه تحفة المريد ص ١٢٢ بقوله: وهي التفتن والتيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الباطلة.

(٢) يتصرف من تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٢٢.

الرُّسُلُ الْوَاجِبُ مَعْرِفَتُهُمْ تَفْصِيلاً

الْوَاجِبُ مَعْرِفَتُهُمْ مِنَ الرُّسُلِ تَفْصِيلاً خَمْسَةً وَعِشْرُونَ وَهُمْ سَادَاتُنَا: (آدَمُ، وَإِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَيُؤُوبُ، وَشُعَيْبٌ، وَهَارُونُ، وَمُوسَى، وَالْيَسَعَ، وَدَاوُدُ، وَذَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَإِلْيَاسُ، وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

قوله: «الْوَاجِبُ مَعْرِفَتُهُ مِنَ الرُّسُلِ... الخ»: واختلف في عدد الأنبياء والرسل فقليل إن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل: وخمسة عشر.. جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم وفي عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر رجلاً غفيراً»^(١). ولكن قال البيهقوري^(٢): والصحيح في الأنبياء والمرسلين عدم حصرهم في عدد، لأنه ربما أدى إلى إثبات النبوة والرسالة لمن ليس كذلك في الواقع أو إلى نفي ذلك عما هو كذلك في الواقع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والواجب معرفتهم من الرسل تفصيلاً خمسة وعشرون: [١٨ نبياً] مذكورون في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٢٨٨)، والطبراني برقم (٧٨٧١)، والحاكم برقم (٤١٦٦)، وابن حبان برقم (٣٦١) وذكر الحاكم وابن حبان عدد الرسل: «ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً غفيراً».

(٢) بتصرف وزيادة من حاشية البيهقوري على شرح ابن قاسم (٢٠ / ١)، إعانة الطالبين (١ / ٢٠).

الرُّسُولُ وَالنَّبِيُّ

الرُّسُولُ: هُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرَ أَوْحَى إِلَيْهِ بَشَرٌ، وَأَمْرُهُ بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ.

عَلَيْهِ (٨٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا قَضَيْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿[الأنعام: ٨٣-٨٦]. وبقيّة الرسل المذكورون في آيات أخرى كما يلي:

نبي الله آدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]. ونبي الله إدريس في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]. ونبي الله هود في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿[الشعراء: ١٢٣-١٢٤]، ونبي الله صالح في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١١١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿[الشعراء: ١٤١-١٤٢]. ونبي الله شعيب في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الاعراف: ٨٥]. ونبي الله ذو الكفل في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]. وسيدنا محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قوله: «الرُّسُولُ وَالنَّبِيُّ... الخ»: تعريف الرسول والنبي: الرسول: هو إنسان حر ذكر، سليم عن منفر طبعاً، وعن دناءة أب، وخنا أم^(١)، أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأمره

(١) دناءة (أب): أي دناءة صنعتة ككونه حجاجاً، (وخنا أم): أي فحشها وزناها.

بتبليغه للخلق^(١). يتبين من هذا التعريف ما يشترط في الرسول من الشروط وهي كما يلي:

١- أن يكون إنساناً [أي من البشر]^(٢): لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ الْآثِينَ﴾ [الحج: ٧٥]، فالمراد أنهم واسطة بين الله تعالى وبين الخلق.

٢- الحرية: فلا بد أن يكون الرسول حراً، لأن الرق مطعن يطعن به الكفار على الرسول، ويعتبرونه به^(٣).

٣- الذكورة: فلا يجوز أن يكون الرسول أنثى بإجماع المسلمين، وكذا النبي عند الجمهور، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ١٧]، فالمراد به الإلهام، لا وحي نبوة^(٤).

٤- السلامة عن كل منفر طبعاً: قال الإمام النووي^(٥): إن الأنبياء صلوات الله

(١) انظر غفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٢٦)، حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم (١/ ٢٠).

(٢) الحكمة من كون الرسول إنساناً بشراً: أن يكون في دعوته لقومه حجة عليهم، وأن يضرب بنفسه المثل على استطاعة البشر تطبيق ما أمرهم الله به، وابتعادهم عما نهى عنه. اهـ العقيدة الإسلامية ص ٢٨١.

(٣) انظر كتاب العقيدة الإسلامية ص ٢٨١.

(٤) انظر شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ٢٧٨.

(٥) تعليقا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر - أي عظيم الخصيتين - قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرّ =

وَالنَّبِيُّ: هُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ.

وسلامه عليهم، منزّهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعائب. قالوا: ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم، بل نزههم الله تعالى من كل عيب وكل شيء ييغض العيون أو ينفر القلوب^(١).

٥- يوحى إليه: لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلَامًا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالْيَسَّيْنِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

والوحي هو لغة: الإشارة وكل كلام خفي، وشرعاً: ما جاء به النبي المبعوث عن ربه، على لسان الملك، أو بالإلهام، أو في النوم، أو الإلقاء في الرُوع^(٢).

والشرع: هو ما شرعه الله تعالى من الأحكام^(٣).

٦- التبليغ: كما تقدم في الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام. قوله: «وَالنَّبِيُّ... الخ»): هو إنسان حر ذكر، سليم عن منفر طبعاً، وعن دناءة أب، وخنا أم، أوحى الله تعالى إليه بشرع ليعمل به، ولم يؤمر بتبليغه للخلق^(٤).

قنبيه^(٥): يفهم من تعريف النبي: أن النبي قد لا يؤمر بالتبليغ فعلاً، ولكن هذا

= الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى بأثره، يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً) أخرجه مسلم برقم (٣٣٩).

(١) انظر شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٧).

(٢) انظر المنح المكية في شرح الحمزية لابن حجر الهيتمي ص ٤٨٠.

(٣) انظر مغني المحتاج (١/ ٩٢).

(٤) انظر حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم (١/ ٢٠).

(٥) بتصرف من كتاب تهذيب شرح السنوسية ص ١٠٦.

فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ وَلَا عَكْسَ

التعريف يكون ضعيفاً، لأن كل إنساناً مأمور بالتبليغ، وذلك على الأقل بتبليغ رسالة الرسول الذي قبله، كما أن كل مؤمن يجب عليه التبليغ، فكيف لا يكون النبي مأموراً بالتبليغ!! (وزاد الإمام الخرداد أن النبي أمر بتجويد الشريعة قبله)

وأما الفرق بينهما: فقد قال القاضي البيضاوي في تفسير^(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]:

الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها^(٢). والنبي يعمه ومن بعثه إلى الخلق لتقرير شرع سابق. وقيل: الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لا كتاب له. وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام. اهـ كلام القاضي.

قوله: «فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ وَلَا عَكْسَ»: أي أن بينهما عموم وخصوص، حيث يجتمعان فيمن كان نبياً ورسولاً كسيدنا محمد ﷺ، وينفرد النبي فيمن كان نبياً فقط، ولا ينفرد الرسول^(٣).

(١) انظر تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ٧٥).

(٢) وعليه الجمهور من العلماء. تهذيب شرح السنوسية ص ٩٨ [والذي في المتن محمول على أن النبي غير مأمور بتبليغ الأحكام الإلهية الخاصة التي يعرفه الله تعالى بها، وليس المراد من التعريف: أن النبي غير مأمور بالتبليغ مطلقاً، لكونه مأمور بإتباع رسول قبله. فتأمل. اهـ تهذيب شرح السنوسية ص ٩٨].

(٣) انظر حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم (٢٠ / ١)، [وهذا بناء على تعريف المتن، وأما عند من قال: بأن النبي هو إنسان أمره الله بشرع من قبله، وأمره بتبليغه، فبناء عليه لا يكون كل رسول نبياً، لأنه ليس كل رسول أرسل إليه بشرع جديد أمر بإتباع شرع من قبله. اهـ من تهذيب شرح السنوسية ص ١٠١].

أَوَّلُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمُ

أَوَّلُ النَّبِيِّينَ بِصُورَتِهِ آدَمَ، وَآخِرُهُمْ بِصُورَتِهِ وَأَوَّلُهُمْ بِمَعْنَاهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ

قوله: «أَوَّلُ النَّبِيِّينَ بِصُورَتِهِ... الخ»: أي أن سيدنا آدم عليه السلام هو أول نبي خلق الله ذاته الشريفة وأرسله إلى أولاده برسالة ووحى، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: أو نبي كان يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»^(١)

قوله: «وَأَخِرُهُمْ بِصُورَتِهِ وَأَوَّلُهُمْ بِمَعْنَاهُ... الخ»: أي أن سيدنا محمد ﷺ هو آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق. وهو أيضاً أول الأنبياء بالمعنى: إشارة إلى أن نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب، فعن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ»^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] قال: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ». أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة برقم (٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٥٥٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٧١٦٣). قال الذهبي: صحيح، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات [قوله «لمنجدل» يعني طريحاً ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه].

(٣) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب. [قوله (متى وجبت لك النبوة) أي ثبت (قال وآدم بين الروح والجسد) أي وجبت في النبوة والحال أن آدم مطروح على الأرض صورة بلا روح والمعنى أنه قبل تعلق روحه بجسده.. انظر تحفة الأحوذى (١٠ / ٥٦)].

خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَلَا نَبِيَّ وَلَا رَسُولَ بَعْدَهُ أَبَدًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ).

قوله: «خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»: أي أنه ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠]، قرأ الجمهور: «خاتم» بكسر التاء. وقرأ عاصم بفتحها. ومعنى القراءة الأولى بالكسر: أنه ﷺ ختمهم، أي جاء آخرهم. ومعنى القراءة الثانية بالفتح: أنه ﷺ صار كالخاتم لهم الذي يتختمون به ويتزيّنون بكونه منهم^(١).

قوله: «وَسَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...» الحديث^(٢).

قوله: «فَلَا نَبِيَّ وَلَا رَسُولَ بَعْدَهُ أَبَدًا»: أي لا تبدئ نبوة نبي بعده^(٣).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أَنْتَ مِنِّْي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٤). وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٥). عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْتِهِ مِنْ

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٣٢٩ / ٤)

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

(٣) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٨١٣ / ٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٢١٩) وقال: هذا حديث صحيح.

زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّيْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّيْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(١). أما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه يخرج في آخر الزمان لا بشريعة جديدة، بل يكون حاكماً من هذه الأمة، قال الإمام النووي: (ينزل - أي عيسى عليه السلام - حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة)^(٢).



(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (١٩٠ / ٢).

السَّمْعِيَّاتُ

السَّمْعِيَّاتُ: هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي لَا يَسْتَقِيلُ الْعَقْلُ بِمَعْرِفَتِهَا، بَلْ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِالسَّمْعِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَوْ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ الْإِيمَانُ بِالسَّمْعِيَّاتِ.

مَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ

يَمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ: أَنْ نَعْتَقِدَ وَنُؤْمِنَ بِأَنَّ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ.

قوله: «السَّمْعِيَّاتُ... الخ»: أي الأمور التي أدلتها سمعية من كتاب أو سنة. «لَا يَسْتَقِيلُ الْعَقْلُ بِمَعْرِفَتِهَا»: أي أنه لو لم يرد بها الشرع، لما أمكن للعقل معرفتها، وذلك لأنها أمور ثبتت بالشرع من كتاب أو سنة، فيجب اعتقادها شرعاً.

قوله: «يَمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ... الخ»: بدأ المصنف يذكر بعضاً مما يجب على المكلف معرفته والإيمان به من هذه الأمور السمعية التي ثبتت بالكتاب والسنة.

[١] لقاء الله تعالى بعد الموت: أي يجب على كل مكلف بأن يعلم أن لقاء الله تعالى بعد الموت حق، حيث دلّت عليه النصوص القرآنية والنبوية، فمن ذلك

(١) اعلم أن هناك لقاءات عدة يلقي بها العبد ربه، وأولها: لقاء العبد ربه عقب الموت، ثم هناك لقاء في الحشر، ثم لقاء عند الحساب، وعند الميزان... إلى أن يدخل الجنة فهناك اللقاء والرؤية الدائمة.. بتصرف من كتاب الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ٥٧ [والموت: هو مفارقة الروح للبدن (مغني المحتاج ٣/٢)].

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٥٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٥﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].
والناس على مراتب في لقاء ربهم سبحانه:

فمنهم من يلقي الله عز وجلّ بتحية وتكريم، وعلى محبة ورضوان، وهم المؤمنون الصالحون، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤﴾ [الأحزاب: ٤٤].. ففي كل لقاء يلقونه سبحانه يكرمهم بالسلام والفضل والإنعام، وأول اللقاءات ما كان بعد الموت، فعن عبادة الصامت رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قالت عائشة، أو بعض أزواجه: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قال: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١). وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قُتلوا، قال أنس رضي الله عنه: فقرأنا فيهم قرآنًا، ثم إنَّ ذلك رُفِعَ: «بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا»^(٢).

ومن الناس من يلقي الله تعالى وهو عليهم غضبان، بسبب أوامر تركوها، أو محرمات ارتكبوها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٧)، ومسلم برقم (٢٦٨٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٠).

وَسُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقَبْرِ حَقٌّ، وَكَوْنُهُ لِلرُّوحِ وَالْجِسْمِ

«مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ لِقَىَ اللَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالٍ أَمْرِي مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لِقَىَ اللَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»^(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيئِهِ، لِقَىَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»^(٣).

قوله: «وَسُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ... الخ»: أي وما يجب الإيمان به من السمعيات السؤال. [٢] سؤال الملائكة في القبر: أي مما يجب الإيمان به سؤال منكر ونكير^(٤) إيانا معشر أمة الدعوة، مؤمنين ومنافقين وكافرين^(٥).

قوله: «وَكَوْنُهُ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ»: حيث يعيد الله تعالى الروح إلى جميع البدن كما ذهب إليه الجمهور، وهو ظاهر الأحاديث، وقال ابن حجر: إلى نصفه الأعلى فقط. ويرد إليه من الخواص والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه ردُّ الجواب حتى يسأل^(٦).

والدليل على ذلك: عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ - وَأَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَنَاهُ مَلَكَانِ يَفْقَعَانِيهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِحَمْدِ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١١٧٨٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٥٩٩٥).

(٤) وإنما سميا بذلك لأنها يأتیان الميت بصورة منكرة كما ورد في الحديث. عون المريد ١٠٢١/٢.

(٥) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١٠٢١/٢).

(٦) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٦٧.

فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمَنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ النَّفْلَيْنِ»^(١). وعن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّيْبَتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسَأَّلُ»^(٢).

وقت السؤال: وسؤالهما بعد تمام الدفن، وعند انصراف الناس^(٣)، كما تقدم في الحديثين السابقين. ولا بد من سؤال الميت، ولو تمزقت أعضاؤه، أو أكلته السباع في أجوافها، إذ لا يبعد أن الله تعالى يعيد له الروح في أعضائه، ولو كانت متفرقة؛ لأن قدرته تعالى صالحة لذلك^(٤). ويسألان كل أحد بلسانه على الصحيح^(٥).

كيفية السؤال: واختلف في كيفية السؤال، فقال ابن عباس: يسألان عن

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم برقم (٢٨٧٠). [وحكمة السؤال - والله أعلم - إظهار ما

كتمه العباد في الدنيا من إيمان أو كفر. اهـ عون المريد ١٠٢٥/٢].

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٢٢١).

(٣) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١٠٢٢/٢).

(٤) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١٠٢٣/٢).

(٥) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٦٨.

الشهادتين. وقال عكرمة: يسألان عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن التوحيد^(١).

ومما يجب اعتقاده نعيم القبر وعذابه، إذ نعيم القبر وعذابه وإحياء الموتى فيه وسؤالهم فيه حق عند جميع أهل السنة.

ودليل نعيم القبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ومعنى الآية عند الجمهور: أنهم أحياء حياة محقة. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي: يجدون ريحها، وليسوا فيها^(٢).

ودليل عذاب القبر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غان: ٤٦]، أي أن قوم فرعون بعدما أحاط بهم سوء العذاب، وهو الفرق في اليم، انتقلوا بعد موتهم إلى عذاب البرزخ، فهم يعرضون على النار صباحاً ومساءً، يمسهم عذابها ويلفحهم لهبها وشظاها إلى أن تقوم الساعة، فحينئذ يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غان: ٤٦]. ومن الأدلة أيضاً على نعيم وعذاب القبر: ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ»^(٣).

وإنما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب، قبر أولم يقبر، ولو غرق أو صلب أو التهمته الضواري أو حرق، ثم ذرته الرياح،

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ١٦٨

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٥٧)

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٦٠).

وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَإِعَادَةُ الْأَجْسَادِ بِأَجْزَائِهَا الْأُولَى حَقٌّ لِقَوْلِهِ تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ).

وتفتت الأعضاء فإنه لا يمنع من وجود العذاب، ومن وقوعه على الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل الحق^(١).

قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ»^(٢)... الخ: أي مما يجب الإيمان به البعث من القبور.

[٣] البعث من القبور: وهو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية^(٣).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرْكَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثِعَابُهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٦]. ويعيد الله الأجساد بأجزائها الأولى كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١]، فإن استبعد الإنسان الرجعة بعد الموت، وبعد تفرق الأجزاء وبلاها، فالجواب: قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيطٌ﴾ [ق: ٤]، وذلك أن ما تأكله الأرض من أجزائهم هو معلوم عند الله تعالى لا يغيب مهما تباعد وتفرق، فهو سبحانه يعلم كل جزء عمن انفصل، وبمن اتصل، وأن تلك الأجزاء كلها محفوظة في كتاب الله جمعها كلها^(٤).

(١) انظر عون المريد شرح جوهره التوحيد (٢ / ١٠٢٦).

(٢) اعلم أن مراتب مواقف القيامة: البعث، فالخسر، فالقيام لرب العالمين، فالعرض، فتطايير الصحف، فانخذها بالأيان والشهاتل، فالسؤال، فالحساب، فالميزان. اهد من كتاب بشرى الكريم ص ٢٤.

(٣) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص ١٧٠ [والأجزاء الأصلية: هي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ولو قطعت قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها ذلك كالظفر مثلاً. تحفة المريد].

(٤) انظر كتاب الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ١٤٨.

وروى ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن العاص بن وائل الجاهلي، أخذ عظماً من البطحاء، ففتته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيجبي الله هذه بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يميئك الله ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم»، فنزلت هذه الآيات رداً عليه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].^(١)

كيفية البعث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، ثم يُنزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل»^(٢)، وفي رواية مسلم قال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَجَبُ الذَّنْبِ».

* وما سبق يتبين كيفية البعث: وذلك أن الله تعالى ينزل من السماء ماءً على ذلك الجزء الباقي من ابن آدم وهو عجب الذنب^(٣)، ويجمع الله تعالى ما تفرق من تراب ذلك الجسم، وتربوا أجسامهم حتى تصير مستعدة لتلبس الروح فيها، ثم إن الله تعالى يأمر الملك فينفخ في الصور نفخة الإحياء، فهناك تتطير كل روح إلى

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٠٣)، تفسير ابن كثير (٦ / ٥٩٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥).

(٣) عجب الذنب: قال الإمام النووي: هو يفتح العين وإسكان الجيم: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص، ويقال له عجم بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. انظر شرح النووي على مسلم (١٨ / ٩٢).

وَالْحَشْرُ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ حَقٌّ

= جسمها الذي كانت تعمره ﴿فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].^(١)

قوله: (وَالْحَشْرُ... الخ): أي مما يجب الإيمان به من السمعات الحشر..

[٤] الحشر: وهو عبارة عن سوق الخلائق جميعاً إلى الموقف^(٢).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ إِلَهِي تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُبْهَمَهُمْ ذَلِكَ»^(٣).

أرض المحشر: وهي الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ووزن الأعمال، ومنه إما إلى الجنة أو إلى النار، وهي أرض لم يعص الله عليها^(٤)، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ يَبْضَاءُ عَفْرَاءُ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لأحد»^(٥). وعن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [البراهيم: ٤٨]

(١) انظر كتاب الإبان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ١٦٦.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)، ومسلم برقم (٢٨٥٩). [ومعنى غرلا: جمع أغرل وهو من بقيت غرله وهي الجلدة التي يقطعها الخائف من الذكر]

(٤) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٢ / ١٠٣٤).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١)، ومسلم برقم (٢٧٩٠). [والعَفْرَاءُ: هي بياض ليس بالناصع، والنقي: هو الخبز الأبيض. ليس فيها علم: المراد ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.. انظر شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٣٤)]. قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً.. انظر فتح الباري (١١ / ٣٧٥).

وَقِيَامُ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لَا سِتْنَطَاقِهِمْ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِمْ.

«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاءَةً وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَى أَفْدَامِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»^(١).

حشر الحيوانات: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْوُحُوشٌ حِشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْكَ رَدِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال قتادة حول هذه الآية: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، وقيل: إذا قضي بينها، ردت تراباً..^(٢).

قوله: (وَقِيَامُ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ): أي مما يجب الإيمان به القيام لرب العالمين.

[٥] قيام الناس لرب العالمين: المراد به يوم القيامة وسمي به لقيام الناس فيه من قبورهم، أو لقيامهم فيه للحساب^(٣).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦٦]. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم في رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أذْنِهِ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣١٤٢)، وقال: حديث حسن.

(٢) انظر تفسير الزخشي = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٧٠٧).

(٣) انظر تفسير البغوي (١ / ٦٧١)، تفسير العز بن عبد السلام (١ / ٣٤٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٨).

قال: «أرض بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها بخطيئة»^(١).

وتسمى أرض المحشر بالساهرة قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التازعات: ١٤]: أي صاروا كلهم على وجه أرض المحشر، وإنما وصفها بالساهرة، لسعة أطرافها، وشدة مخاوفها، فلذا كان شأن من حلَّ فيها أن يكون ساهراً لا ينام لشدة الفزع والخوف^(٢).

وأول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «(لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض)»^(٣). وفي البخاري: «(إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ)»^(٤).

مراتب الناس في الحشر^(٥): ويحشر الناس يوم القيامة على مراتب متفاوتة، فمنهم الراكب وهو المتقي، ومنهم الماشي على رجلية وهو قليل العمل، ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: =

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٨٧٠٠)، وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢) انظر كتاب الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ١٧٤. قال القرطبي في تفسيره (١٩ / ٢٠٠): سميت بالساهرة لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٧٤٠). [قال الحافظ ابن حجر: الحكمة في كون إبراهيم أول من يكسى أنه جرد حين ألقى في النار وقيل لأنه أول من استن التستر بالسراويل، ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا عليه الصلاة والسلام مطلقاً، وقد ظهر لي الآن أنه يجتمل أن يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة خلعة الكرامة بقربة إجلاله على الكرسي عند ساق العرش فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق. انظر فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٨٤)].

(٥) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٢ / ١٠٣٥).

وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ حَقٌّ.....

طول الموقف: وطول يوم القيامة ألف سنة وقيل خمسون ألفاً، إلا أنه يخفف على المؤمن. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المارج: ٤]، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»^(١).

حال الناس في الموقف: وفيه يعرق الناس على قدر أعمالهم، ففي الحديث عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى خفويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»^(٢). فهذه الأحاديث تدل على عظم الموقف، وشدة حرّه وكربه، وكل من أهل الموقف يشعر بذلك على حسب مقام إيمانه، إلا من أظله الله تعالى بظله، يوم لا ظل إلا ظله.

قوله: (وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ حَقٌّ): أي مما يجب الإيمان به من السمعيات القصاص بين الخلائق يوم القيامة.

[٦] القصاص يوم القيامة: وهو أخذ الحق من الظالم للمظلوم^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٧١٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٤). [حقويه: مثنى حقو، وهو موضع شد الإزار، وهو الخاصرة].

(٣) انظر كتاب الإبان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ٤٣٨.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْآلَمِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥]: أي يقضي بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار.

طريقة القصاص^(١): بين النبي ﷺ طريقة المقاصة بين العباد يوم القيامة، وذلك بأن يؤخذ من حسنات الظالم للمظلوم بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطُرحت على ظالمه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»^(٢).

القصاص في جميع المظالم كبيرها وصغيرها: ففي الحديث عن عبدالله بن أنيس قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ»^(٣).

القصاص بين الحيوانات: جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوْذَنَ الْحَقُّوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ، حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجِلْحَاءُ مِنْ

(١) انظر كتاب الإبان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ٤٣٩.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٦٠٤٢).

وَأَخَذُ كِتَابَ الْأَعْمَالِ بِالْيَمِينِ أَوْ بِالشِّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ حَقٌّ.....

فمن أراد أن يغفر الله تعالى له، وأن يرحمه في ذلك اليوم، فليعفُ عن عباده، وليرحمهم، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْمَعْ يَسْمَعْ لَكَ»^(١). وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذني مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالكاء، ثم قال: إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه، فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكللة بالؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢). هذا بيان وإعلان بعظمة عدل الله تعالى بين سائر خلقه، فليتقِ الإنسان ربه في حقوق الله تعالى، وفي حقوق العباد، وحقوق الحيوانات.

قوله: (وَأَخَذُ كِتَابَ الْأَعْمَالِ): أي مما يجب الإيمان به أخذ الصحف وكتب الأعمال.

الشاة القرناء»^(١)، فالشاة القرناء التي نطحت بقرونها في الدنيا شاة جلهاء - لا قرون لها - يقتص منها يوم القيامة لا محالة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، حَتَّى لِلْجَهَاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ، وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ»^(٢).

القصاص للحيوان من الإنسان: جاء في الحديث عن جُنادة بن جرادة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ ببابل قد وَسَمْتُهَا في أنفها، فقال النبي ﷺ: «يَا جُنَادَةَ، مَا وَجَدْتَ فِيهَا عَضُوءاً تِسِمُهُ إِلَّا فِي الْوَجْهِ، أَمَا إِنَّ أَمَامَكَ الْقَصَاصُ...»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطْتَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عَصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بَغِيرَ حَقِّهَا، إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا، وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا»^(٥). وعن الشريد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَ عَصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ - أَيِ الْعَصْفُورِ - إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ»^(٦).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٨٧٥٦). قال المحقق شعيب الأرنؤوط: هذا إسناد حسن، رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٢١٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٣٢٦٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٣١٨). [خشاش الأرض: هي هوامها وحشراتنا وقيل صغار الطير].

(٥) أخرجه النسائي برقم (٤٣٤٩)، والحاكم برقم (٧٥٧٤)، قال الذهبي صحيح.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٩٤٧٠)، والنسائي برقم (٤٤٤٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٣)، الطبراني في الأوسط برقم (٥١١٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (٨٧١٨).

[٧] الصحف: وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا^(١).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: ٤٩] أي: كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفetil والقطمير، والصغير والكبير، ﴿فَقَرَأَ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ﴿يَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ لَئِنَّا كُنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ حَسْرَتَنَا وَوِيلَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِي أَعْمَارِنَا﴾، ﴿مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر، ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي: ضبطها، وحفظها^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣] أقرأ كتابك كفى بفسادك اليوم عليك حبيباً [الإسراء: ١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِرِسَالَةٍ﴾ [٧] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَبِيرًا [٨] وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا [٩] [الانشقاق: ٧-٩].

فهذه الكتب فيها جلاء عما قدموه، ونتيجة ما حصلوه في الدنيا، فهم بعد أخذها ما بين فرح مسرور، وما بين حزين كئيب يدعو بالويل والثبور.

* ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة، وورد أن الريح تطير الصحف من خزانة تحت العرش، فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها^(٣).

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ١٧٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٥ / ١٦٥) النقيض: النكتة في ظهر النواة، والفetil: ما كان في شق النواة، والقطمير: القشرة الرقيقة على النواة، وهذه الأشياء يضرب بها مثلاً للشيء التافه الحقير القليل. انظر تاج العروس

(٣) انظر عون المريد شرح جوهرية التوحيد (٢ / ١٠٨٠).

وَالْحِسَابُ حَقٌّ

قوله: «وَالْحِسَابُ حَقٌّ»: أي وما يجب الإيمان به من السمعيات الحساب.

[٨] الحساب: وهو توقيف الله الناس على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً، قولاً كان أو فعلاً بعد أخذهم كتبها^(١).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا إِيَّاهُمْ﴾ [٥] ثُمَّ إِنَّا إِنَّا حِسَابُهُمْ [الأنبياء: ٢٥-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَلِمْتَ الْبَلَاءَ وَوَعَيْنَا الْحِسَابَ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِن حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يحاسب الخلائق يوم القيامة، على جميع الأعمال العلانية والسرية قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

من يشملهم الحساب: ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن إلا من استثنى الله تعالى منهم، ففي الحديث أنه ﷺ قال: «وعدني ربِّي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته»^(٢).

أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال: هو الصلاة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «(إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة شيء، قال الربُّ عزَّ وجلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، =

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ١٧٢

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

= ثم يكون سائر عمله على ذلك»^(١).

وأول ما يحاسب عليه العبد من الحقوق: هو الدماء، فقد جاء في حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس بالدماء»^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فيني لا أجزى على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتتطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل»^(٣).

من نوقش الحساب عذب: جاء في الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «(من نوقش الحساب عذب)»، فقلت أليس يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَ كَيْتِبُهُ رَبِّمَنِّيهِ ۖ فَسَوْفَ يَحْصِبُ حِسَابًا يَّسِيرًا ۝ (٨) وَيَقْلِبُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩] قال: «(إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٤١٣)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٣)، ومسلم برقم (١٦٧٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٩)، ومسلم برقم (٢٨٧٦).

وَالْمِيزَانُ حَقٌّ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه، حاسبه الله حساباً يسيراً»^(١)، وأدخله الجنة برحمته» قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة»^(٢).

قوله: (وَالْمِيزَانُ... الخ): أي ومما يجب الإيمان به من السمعيات الميزان.

[٩] الميزان: هو ما له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب^(٣)

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الاعراف: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. والمشهور: أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال^(٤).

حل الميزان: ومحلّه بعد الحساب، قال العلماء: إذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة^(٥).

(١) والحساب اليسير: هو أن تعرض على العبد أعماله، فيعرف بالطاعة والمعصية، ثم يُثاب على الطاعة، ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة، ولا يقال له: لِمَ فعلت هذا؟ من كتاب الإيثار بعوالم الآخرة ومواقفها ص ٣٣١.

(٢) أخرجه الزبار برقم (٨٦٣٥) والطبراني في الأوسط برقم (٥٠٦٤)، والحاكم برقم (٣٩١٢).

(٣) انظر تفسير البغوي (٢/ ١٨٠). قال الحافظ ابن حجر: الميزان له كفتان لو وضع في إحداها السموات والأرض ومن فيهن لوسعته.. انظر فتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

(٤) انظر عون المريد شرح جوهره التوحيد (٢/ ١٠٨٤).

(٥) انظر عون المريد شرح جوهره التوحيد (٢/ ١٠٨٤).

ما الذي يوزن؟ قال ابن حجر: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن^(١). فقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢)، وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»^(٣).

* وَتُمَثَّلُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَيْرَهَا وَشَرَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُنْجَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ مُدْخِلًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَقْدُورُونَ﴾ [الأنعام: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] أي موجوداً، وإنما يروونه حاضراً بوجود مثالي. فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسنته على سيئاته فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه حتى يقع في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ۚ يَمَّا كَانُوا يَاجِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩]^(٤).

* واختلف في المراد من الثقل والخفة: فقيل: على صورته في الدنيا، وقيل: على عكس صورته في الدنيا، فالثقل يصعد، والخفيف ينزل^(٥).

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٥٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٧٥١٧)، وأبو داود برقم (٤٧٩٩) بلفظ: (من حسن الخلق).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٣).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٦٦ / ٧).

(٥) انظر تحفة المريد شرح جوهر التوحيد ص ١٧٨.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ

قوله: (وَالصِّرَاطُ... الخ): أي وما يجب الإيمان به من السمعيات الصراط.

[١٠] الصراط: هو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يمر عليه الناس كلهم^(١)

والدليل على ذلك: حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: «وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ، أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُ مِنَ السَّيْفِ»^(٢)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ - أَيِ الصِّرَاطِ - أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُ مِنَ السَّيْفِ»^(٣).

كيفية مرور الناس على الصراط: يختلف الناس في مرورهم على الصراط، وذلك على حسب أعمالهم، فقد جاء في الحديث (... فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالرريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فتأج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم)^(٤).

قدر الصراط: قال سعيد بن هلال: إن الصراط ثلاثة آلاف سنة، ألف سنة يصعد الناس عليه، وألف سنة يستوي الناس، وألف سنة يهبط الناس^(٥).

(١) انظر شرح النووي على مسلم (٢٠ / ٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٤٧٩٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٣). قال النووي: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يندش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدش ويلقى فيسقط في جهنم.. انظر شرحه على مسلم (٢٩ / ٣).

(٥) انظر عون المريد شرح جوهر التوحيد (١٠٩٢ / ٢).

كلاليب الصراط: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فيضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو»^(١).

وورد في الحديث «... والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربعة ومضر»^(٢).

أعمال تُثَبَّتُ صاحبها على الصراط: حث النبي ﷺ على الأعمال التي تُثَبَّتُ الله تعالى بها قدم صاحبها على الصراط فمن ذلك:

- ملازمة المسجد: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله عز وجل لمن كان المساجد بيوته الروح، والرحمة، والجواز على الصراط»^(٣).

- إعانة العباد في حاجاتهم: ففي الحديث: «ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٠٦).

(٢) أخرجه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب برقم (٥٤٩٤)، وقال: أخرجه البيهقي مرسلًا.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١٤٣)، والبيهقي في الشعب (٢٦٨٩) قال الحافظ المنذري: إسناده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١٣٦٤٦).

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ.....

- إقالة المسلم ببعته وعشرته: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «(من أقال مسلماً، أقاله الله عشرته يوم القيامة)»^(١).

قوله: (وَالْجَنَّةُ... الخ): أي وما يجب الإيمان به من السمعيات الجنة.

[١١] الجنة^(٢): وهي الدار التي أعدّها الله تعالى في الآخرة للصالحين من عباده^(٣).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

نعيم الجنة: وقد أعدّ الله تعالى للمؤمنين في الجنة أنواعاً من النعيم مما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ فَاغْرُؤْ وَإِنْ شِئْتُمْ» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(٤).

وكل نعيم الجنة عظيم، إلا أن أعلاه رؤية وجه الله الكريم^(٥)، عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيء أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٠) وابن ماجه برقم (٢١٩٩). صورة إقالة البيع: إذا اشترى أحد شيئاً من رجل ثم ندم على اشتراؤه إما لظهور الغبن فيه أو لزوال حاجته إليه، فرد المبيع على البائع وقيل البائع ردّه.. أزال الله مشقته وعشرته يوم القيامة.. انظر عون المعبود (٩ / ٢٣٧).

(٢) الجنة: لغة الستر، وسميت بذلك لاستتار أرضها بالأشجار.

(٣) انظر كتاب العقيدة الإسلامية ص ٤٤٤

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٥) انظر فيض القدير (٤ / ٤٠٧)، عون المريد شرح جوهره التوحيد (٢ / ١١١٣).

وفي رواية: وزاد: ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذَرَّابَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)^(١).
وأقل واحد من أهل الجنة يعطى مثل الدنيا عشر مرات لحديث البخاري ومسلم:
«إِنِّي لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها».. وفيه: «فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها...».
أول من يدخل الجنة: هو سيدنا محمد ﷺ ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: قال رسول الله ﷺ: «(آي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)»^(٢).
وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرُغُ بَابَ الْجَنَّةِ»^(٣). ثم يدخل خلف رسول الله ﷺ أمته على أفواج، وجه الواحد منهم كالبدن المنير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «(أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة)»^(٤).
سنُّ أهل الجنة: هو ٣٣ سنة، فقد جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «(يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحّلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة)»^(٥).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٧) أي: بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك لا بشيء آخر. مرقاة المفاتيح (٩ / ٣٦٧٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٥) وقال: حديث حسن غريب. [فائدة: الناس في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها، ثم يدخل المؤمنون الجنة جرداً مردأً مكحّلين ثلاث وثلاثين سنة، طول كل واحد منهم ستون ذراعاً، وعرضة سبعة أذرع، ثم لا يزيدون ولا ينقصون. اهـ من كتاب عون المريد (٢ / ١١١٤).

أبواب الجنة: قال تعالى: ﴿وَسَيَقُولُ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقِيحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ١٧٣).
وللجنة ثمانية أبواب، ما بين جانبي كل باب كما بين مكة ومكة، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «..فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة...»^(١).

قال السيوطي: وذكر في الحديث من أبواب الجنة الثمانية أربعة: باب الصلاة، وباب الصدقة، وباب الصيام ويقال له الريان، وباب الجهاد. قال القاضي: وجاء ذكر بقية الأبواب في أحاديث أخرى: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه^(٢).

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول النبي ﷺ: «...فأقول: أُمِّتِي يَا رَبِّ، أُمِّتِي يَا رَبِّ، أُمِّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمِّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ...»^(٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٧)، ومسلم برقم (١٠٢٧). [قال النووي: قوله دعي من باب الصلاة

ومثله الصيام... قال العلماء: معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك.. شرح مسلم (٧ / ١١٦).

(٢) انظر شرح السيوطي على مسلم (٣ / ١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

وَالنَّارُ حَقٌّ

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى»^(١).

مفتاح الجنة: هو [لا إله إلا الله]، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله»^(٢).

درجات الجنة: وهي سبع درجات: أعلاها الفردوس ثم عدن ثم الخلد ثم النعيم ثم المأوى ثم دار السلام ثم دار الجلال. وكلها متصلة بمقام الوسيلة لتنعيم أهل الجنة بمشاهدته ﷺ لظهوره لهم منها؛ لأنها تشرف على أهل الجنة، كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا اهـ^(٣).

قوله: (وَالنَّارُ... الخ): أي وما يجب الإيمان به من السمعيات النار.

[١٢] النار: وهي دار العقاب الذي أعد الله تعالى للكافرين.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(١٤) خَلِيلِينَ فِيهَا ﴿[الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤). المصراعان بكسر الميم جانبا الباب، وهجر بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين... انظر شرح النووي على مسلم (٣/ ٦٩).

(٢) أخرجه البزار برقم (٢٦٦٠)، وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢١٠٢)، بلفظ: مفاتيح الجنة.... وفي البخاري: قيل لو هب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك».

(٣) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (٢/ ١١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَعَقِبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ [فاطر: ٣٦].

أبواب النار: إن للنار سبعة أبواب، قال تعالى: ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٢) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ يَتَنَبَّهُ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ ﴿[الحجر: ٤٣ - ٤٤]﴾^(١). وكل باب من هذه الأبواب في طبقة من طبقات جهنم، بمعنى: أن جهنم سبع طبقات بين كل طبقة وأخرى باب. **طبقات النار:**^(٢) سبع وهي كما يلي: أعلاها جهنم: وهي لمن يُعَذَّب على قدر ذنبه من المؤمنين، وتصير خراباً بخروجهم منها، وتحتها لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم للمشركين، ثم الهاوية للمنافقين فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

صفة النار: جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «أُوقِدَ على النار ألف سنة حتى احمَرَّتْ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّتْ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّتْ، فهي سوداء مظلمة»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٤).

(١) وقيل: المراد بالأبواب: الأطباق طبق فوق طبق. انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٥٩).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٥٩)، وكل طبقة تسمى دركاً.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٩١)، والبيهقي في شعب الإيثار برقم (٧٧٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عليهن بتسعة وستين جزءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

وصف الكافر في النار: تضخم أجسام أهل النار، ليكون العذاب عليهم أشد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»^(٢)، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضُرْسُ الكافر مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلْظُ جلده مسيرة ثلاث»^(٣).

أقل أهل النار عذاباً: وأقل واحد من أهل النار يعذب باللباسه نعلين من نار يغلي منهما دماغه، فقد جاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً، يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغَهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ»^(٤).

فائدة: جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»^(٥). أجارنا الله والمسلمين من النار. آمين الله آمين

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٥١)، ومسلم برقم (٢٨٥٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢١١).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، ومسلم برقم (٦١٧).

وَالْحَوْضُ حَقٌّ

قوله: (وَالْحَوْضُ... الخ): أي وما يجب الإيمان به من السمعيات الحوض.

[١٣] الحوض: وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب^(١).

والدليل على ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢).

وورد أن لكل نبي حوضاً ترده أمته، فقد جاء في الحديث عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ وَارِدَةً»^(٣).

وأما تخصيص حوض نبينا محمد ﷺ بالذكر، فلوروده بالأحاديث التي رواها من الصحابة بضع وثلاثون، وكاد أن يكون متواتراً اه^(٤).

واختلف في الميزان والحوض أيها قبل الآخر، فقليل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. وذهب الجمهور إلى أن الحوض قبل^(٥).

(١) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١١١٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢). قوله من شرب منها أي من الكيزان، والكيزان: هي الآنية.. انظر فتح الباري لابن حجر (٤٧٣/١١).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٤٣).

(٤) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١١١٩/٢).

(٥) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١١٢١/٢).

وأول من يرد على الحوض: هم فقراء المهاجرين، كما جاء في الحديث عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ، قَالَ قَاتِل: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشَّعْبَةُ رُءُوسُهُمْ، الشَّجْبَةُ وَجُوهُهُمْ، الدَّنَسَةُ ثِيَابُهُمْ، لَا يُفْتَحُ لَهُمُ السَّدَدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ، الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُلُّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ»^(١).

الذين يذاذون عن الحوض: ويصدُّ عن الحوض أهل النفاق والمتردون وكل معلن للكبائر مستخف بالمعاصي، ففي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ، قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيْمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُجَبَّلِينَ مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيَصِدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ، فَلَا يَصِلُونَ قَائِلُونَ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحْيِيَنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَذَرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ؟»^(٢).

فضل أهل اليمن: عن ثوبان رضي الله عنه: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُفْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ...»^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٦١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٠١)، عُفْرِ حَوْضِي: أي مؤخره. وأذود الناس: أذهبهم ليرد أهل اليمن. يرفض: يسيل.. قال النووي: وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقديمهم في الإسلام والأنصار من اليمن في دفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه والمكرهات.. انظر شرح النووي على مسلم (١٥ / ٦٢).

وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى مَخْصُوصَةٌ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَجَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَةِ عَنْهُ ﷺ

قوله: (وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى): أي وما يجب الإيمان به من السمعيات الشفاعة.

[١٤] الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير من الغير للغير^(١).

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنْ أَفْنَلَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

أنواع الشفاعة: والشفاعة على نوعين: الأولى: شفاعة الرسول ﷺ.

والثانية: شفاعة غيره ﷺ من الأنبياء والشهداء وصالحى المؤمنين.

أولاً: الشفاعة العظمى: هي أول الشفاعات، وهي باب الشفاعات كلها، وهي المقام المحمود، لذا فهي خاصة بنبينا محمد ﷺ قطعاً.

تعريفها: هي شفاعته ﷺ في إراحة الناس من هول الموقف^(٢). وهذه هي المقام المحمود^(٣) الذي في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي يحمذك فيه الأولون والآخرون.

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٩.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٤٣٨).

(٣) وسبب هذه الشفاعة: أنه حين يشتد الهول على أهل الموقف ويتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار.. يلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه، فيذهبون إليهم فيعتذرون.. فيأتون النبي ﷺ فيقول: أنا لها أنا لها صلوات الله وسلامه عليه.. انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٧.

وجاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاَهَا لِأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وهناك شفاعات أخرى للنبي ﷺ وهي^(٢):

- شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب.
- شفاعته ﷺ لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم فلا يدخلوها.
- شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من المذنبين بإخراجهم منها.
- شفاعته ﷺ في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

وأحاديث شفاعاته ﷺ كثيرة نذكر منها ما يلي:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَايَرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٣).
- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٥)، ومسلم برقم (٢٠٠). قال الإمام النووي في هذا الحديث: معناه أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب. وقال أيضاً: في هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورافته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة فأخر النبي ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم.. انظر

شرح النووي على مسلم (٣ / ٧٥).

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (٣ / ٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٣٩)، والترمذي برقم (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٦).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»^(١).

ثانياً: شفاعته ﷺ من الأنبياء والشهداء وصالحى المؤمنين.

جاء في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»^(٢). ويشفع كل واحد من هؤلاء على قدر مكانته عند الله تعالى، فقد جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَتَامِ - الجماعة الكثيرة - مِنْ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»^(٣).

ويشفع أيضاً حَافِظُ الْقُرْآنِ فقد جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهَرَهُ، فَأَحْلَلَ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ قَدْ وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣١٣).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٤٠)، وقال: هذا حديث حسن. (للقبيلة) وهي قوم كثير جدُّهم واحد، (للعصبة) بضم فسكون وهو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها، والأظهر أن المراد بها جمع ولو اثنان.. انظر تحفة الأحوذى (٧ / ١١١).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٠٥)، وابن ماجه برقم (٢١٦). قوله (استظهره): أي حفظه عن ظهر قلبه.

ويشفع أيضاً الشهيد فقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشَفِّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(١).

وتشفع أيضاً الملائكة، فقد جاء في الحديث: «... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين» الحديث^(٢).

وشفاعة الله تعالى: عبارة عن عفوه تعالى، فإنه سبحانه يشفع فيمن قال: (لا إله إلا الله مثبتاً رسالة الرسول الذي أرسل إليه ولم يعمل خيراً قط)، فيتفضل الله تعالى عليه بعدم دخول النار بلا شفاعة أحد^(٣).

ودليل شفاعة الله عز وجل: ما جاء في حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، جاء فيه: «... فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ، وَشَفَعَ النَّبِيِّينَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ» الحديث^(٤).

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٥٢٢)، وابن حبان برقم (٤٦٦٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣).

(٣) انظر عون المريد شرح جوهرة التوحيد (١١٢٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣). قوله: (فيقبض قبضة من النار) معناه يجمع جماعة (عادوا حمًا) معنى عادوا صاروا. وأما الحمم فيضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة وهو الفحم الواحدة حممة. (في أفواه الجنة): أي في مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها، (نهر الحياة): وفي تسمية ذلك النهر به إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك، قوله (حميل السيل) هو ما يجري به السيل من طين،

نسأل الله تعالى أن يدخلنا في شفاعته ﷺ، وأن يربطنا بستته، ويثبتنا على طريقته، ويرزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً في عافية وسلامة، وأن يجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه فيه، برحمته إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، آمين اللهم آمين..



والمراد أن الغناء الذي يجري به السيل يكون فيه الحبة فيقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نابذة.. انظر شرح النووي على مسلم (٣٢/٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٥٨).

العقيدة المجملة

وَبَعْدُ: فَإِنَّا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً، وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا.

وَتَبَرَّأْنَا مِنْ كُلِّ دِينٍ يُخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَأَمْتَنَا بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، وَبِمَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

عَلَى ذَلِكَ نَحْيَى، وَعَلَيْهِ نُمُوتُ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْآمِنِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، بِفَضْلِكَ اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قوله: «(العقيدة المُجْمَلَةُ)»^(١): هذه العقيدة هي للإمام الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد رحمه الله تعالى ونفعنا به وعلومه وعلوم سائر الصالحين.

وهي العقيدة التي كان أسلافنا الصالحون رحمهم الله تعالى يلقنونها أهلبيهم وإخوانهم ومن بُعد ومن قُرب من جيرانهم، وعوام أهل بلدانهم، وهي عظيمة النفع، جليلة الوقع، بل هي كنز من الإيمان، مشتملة على غاية الرضاء والإذعان، ونهاية القبول والتسليم لما جاء به النبي الكريم ﷺ.



الخاتمة

نسأل الله حسنها

هَذَا آخِرُ مَا يَسَّرَ الْمَوْلَى جَمْعُهُ مِنْ فَوَائِدَ وَمَسَائِلَ تُعِينُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِ دُرُوسِ التَّوْحِيدِ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَا كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهَا، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِشُيُوخِي وَلِأَسَاتِذَتِي وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وقد فر الفراغ من الكتابة والمراجعة

يوم الإثنين ٩/ربيع ثاني/١٤٢٤هـ

الموافق ٩/٥/٢٠٠٣م

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

وَلِلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



(١) موجودة بنصها في كتاب مجموع عقائد الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ص ١٢.

المصادر والمراجع

الرقم	الكتاب	المؤلف
١	تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
٢	فتح القدير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني
٣	الدر المنثور في التفسير بالماثور	عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي
٤	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي
٥	صفوة التفاسير	محمد بن علي الصابوني
٦	شرح النووي على مسلم	الإمام يحيى بن شرف بن مري النووي
٧	الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها	عبد الله سراج الدين
٨	عون المريد شرح جوهرة التوحيد	عبد الكريم تتان- محمد أديب الكيلاني
٩	تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد	الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري
١٠	شرح الصاوي على جوهرة التوحيد	الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي
١١	تحقيق المقام على كفاية العوام	الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري
١٢	طالع البشري على العقيدة السنوسية الصغرى	الشيخ إبراهيم بن أحمد المارني
١٣	تهذيب شرح السنوسية	الشيخ سعيد عبد اللطيف فودة
١٤	بحوث في علم الكلام	الشيخ سعيد عبد اللطيف فودة

محتوى الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٤	مؤلف كتاب دروس التوحيد
٥	فوائد البسملة
١١	مبادئ علم التوحيد
١٢	توضيح تعريف علم التوحيد
١٣	الحكم العقلي وأقسامه
١٦	مسائل مفيدة
١٩	الإلهيات
٤٥	أقسام الصفات الراجبة
٤٦	الصفات السلبية
٥٠	صفات المعاني
٥١	الصفات المعنوية
٥٣	الفرق بين صفات المعاني والمعنوية
٥٤	متعلقات صفات المعاني
٥٦	النبؤات
٦٨	الفرق بين الرسول والنبي
٧٢	السمعيات
٧٢	لقاء الله بعد الموت
٧٤	سؤال الملكين في القبر
٧٧	البعث من القبور
٧٩	الحشر

۸۱	قیام الناس لرب العالمین
۸۲	القصاص يوم القيامة
۸۶	الصحف
۸۷	الحساب
۸۹	المیزان
۹۱	الصراط
۹۳	الجنة
۹۶	النار
۹۹	الحوض
۱۰۱	الشفاعة العظمی
۱۰۶	العقيدة المجملة
۱۰۷	الخاتمة
۱۰۸	المصادر والمراجع
۱۰۹	محتوی الكتاب